

أ.د. صلاح جرار

تنوع إبداعي

هل الإبداع مقصور على الذين يدرسون اللغة العربية وآدابها؟ الجواب عن هذا السؤال هو بالقطع: لا، وهذا خلاف اعتقاد كثير من الناس الذين يرون بأنه لا يجيد تعاطي الشعر والقصة والمسرح والإبداع الأدبي عامّة إلاّ من درس اللغة العربية وآدابها، والشواهد على بطلان رأيهم كثيرة، مثل علي محمود طه الذي كان مهندسًا وإبراهيم ناجي الذي كان طبيبًا، وعمر أبو ريشة الذي درس أول ذهابه لبريطانيا هندسة النسيج ونزار قباني الذي درس الحقوق وغيرهم كثير.

ومما يؤكّد ذلك أيضًا تلك الأعمال الإبداعية المتميّزة التي تلقتها مجلة "أقلام جديدة" وتقوم بنشرها تباعًا لأصوات متنوعة الاختصاصات مثل: عبد الله أبو شميس (تخصص هندسة)، وحنين داود (تخصص طب)، وعلاء أبو عوّاد (تخصص هندسة)، وعابدة حدادة (تخصص صيدلة)، ولمى شديفات (تخصص هندسة عمارة)، وغيرهم ممّن يضيئون بإبداعاتهم صفحات هذه المجلة.

ولكنّنا لا نشكّ في أنّ تخصص اللغة العربية وآدابها يمنح من كان مبدعًا أصلاً فرصة التعبير عن إبداعه وتطوير مهاراته من خلال امتلاكه للأدوات التي تخدم الإبداع كالنحو والصرف والإملاء والمعاجم والأوزان الشعرية فضلاً عن إتاحة الفرصة له للاطلاع على كثير من الأعمال الأدبية القديمة والحديثة والاستفادة منها، لكنّ هذه الأدوات

يستطيع المبدع من غير تخصّص اللغة العربية وآدابها أن يمتلكها عن طريق التعلّم الذاتي والمطالعة الواسعة متى رام ذلك.

وإذا كان تخصّص اللغة العربية يتيح للمبدع فرصة صقل إبداعه وتطويره، فلا شكّ في أنّ لكلّ تخصّص من التخصّصات الأخرى أثره على تنمية الإبداع الأدبي لدى من يمتلك ذلك الإبداع، فالهندسة تساعد المبدع على هندسة نصّه وتهذيبه وإجادة بنائه الداخلي والخارجي، والطب يعزّز لدى المبدع البعد الإنساني الذي يعدّ شرطًا أساسيًا لجعل النصّ نابضًا بالحياة ومؤثرًا في المتلقي، لأن دارس الطبّ يتعامل بصورة مباشرة مع آلام الناس ومعاناتهم ومشاعرهم، بل كثيرًا ما يقف الطبيب مع المرضى على الحدّ الفاصل بين الحياة وعدمها... وكذا يقال عن تخصّص الحقوق الذي يمكّن المبدع من التعامل مع أهمّ باعث من بواعث المعاناة الإنسانية، وهو الشكوى من مرارة الظلم والقهر والاضطهاد ومصادرة الحقوق، وغير ذلك.

إنّ لكلّ تخصص من التخصصات طريقًا إلى الإبداع الأدبي، فإذا صادف في طريقه من يملك جذوة الإبداع ألهبها وأنار بها سبل التميّز.

إنّ هذا التنوع الإبداعي الذي يتجلّى في الأصوات الإبداعية التي تنتمي إلى تخصّصات مختلفة من لغة عربية وطب وهندسة وعلوم وحقوق وصيدلة وسواها يدلّ على أتّساع مساحة الإبداع الأدبي وانتشاره في قطاعات المجتمع كافة، ويسعد مجلة "أقلام جديدة" أن يكون أصحاب الأصوات الإبداعية الذين ينشرون إبداعاتهم بها ينتمون إلى حقول معرفية متنوّعة، مثلما تنشر لأصوات إبداعية من مختلف أقطار الوطن العربي وفي حقول إبداعية مختلفة، ممّا يجعلها غنية بأشكال من التنوّع الإبداعي والعلمي والإنساني تجعلها في مقدّمة المجلاّت الثقافية العربيّة.

إيمان عبد الهادي:
اكتشاف شاعرة عربية متميزة!

قلم التحرير

كم هو صعب أن تُحاور مبدعًا متميزًا، فأنت تستطيع أن تكتشف المبدع، لكنك لا تستطيع أن تنقل كلامه، تخاف أن تُفسد عباراته. أو تحرّف دلالاته، أو تشوّه شاعريته. هذا ما حدث عندما جاءت إيمان عبد الهادي إلى مكتب المجلة.

فكما أدهشتني نصوصها الشعرية التي أرسلتها سابقًا، تأكدت الدهشة وأنا أحاول التعرف منها على تجربتها في كتابة الشعر لأكتشف أنني لن أستطيع نقل ما قالته عن نفسها، وعن تجربتها، وعن رؤيتها للكتابة والإبداع، وكتابة الشعر بالذات، وعلاقة المرأة بالشعر، وتفوقها في السرد أكثر من الشعر، إلى آخر ما تتناسل عنه مثل هذه الأحاديث من موضوعات وتساؤلات. لذلك، لم أجد أفضل منها لتكتب عن نفسها، وتصوغ رؤاها بقلمها.

وإذا كانت "إيمان عبد الهادي" بمقاييس حداثة النشر تعدّ من الأصوات الجديدة التي تطلّ على القراّء للمرة الأولى، فإننا نؤكد بلا أدنى شكّ أنها ستكون صوتًا شعريًا ذا شأن كبير في ساحة الشعر العربي. ويكفي "أقلام جديدة" فخرًا أنها النافذة الأولى التي تطلّ منها هذه الشاعرة المتميزة. فاحفظوا اسمها جيدًا.

أما معلوماتها الشخصية: فهي طالبة ماجستير في اللغة العربية عمرها ٢٤ عامًا، تعمل في مجال المكتبات. لديها من القصائد ما يكفي لإصدار ديوانين، ومن القصص ما يكفي لإصدار مجموعتين، بالإضافة إلى رواية واحدة. لم تنشر شيئًا من ذلك كلّه قبل اليوم. وها نحن نتركها لتقدم نفسها كما تريد:


إيمان عبد الهادي

"أنْ أسيرَ في جنازة قاتِلَتي"!!
من السّيرة الذّاتيّة للكتابة:

إيمان عبد الهادي

رأيتك: تشرِّحين قريحةَ حروفي، تمزّقين أوصال أبجديتي،تعبثين بحلمي، تهتكين ستار الخيط الأبيض في نهار الكلام.

رأيتُني: أشرع في وجهكِ سيف قلمي،أوزِّع دمكِ الحبريَّ على القَبائل!

أيّتها الكتابة: أيُّنا في غفلةٍ منّا، خاتل الورق، وقتلَ الآخرَ أوّلاً؟!

ما الذي يمكن قوله أوّل الأمر؟ حين أكون على بيّنة من أنّ الشّعر ابن الهاجس، وابن الروح، وابن الجنون، إنني لا أستطيع إذن أن أسوق معادلة منطقيّة واحدةً تصوغها واقعيّة الأدلاء بشهادة حول هذه الممارسة الفادحة: (الكتابة)، تلك التي سأظلّ أطارد أسرارها حتى آخر الأرض، ثمّ هي في النّهاية لا تمنحني بهجة الفكاك، ولا تملّكني سوى سرابها الخلاّب في صحراء العتمة المقفرة! وحدها تضيء بلغز جديد، لأربح خسارتي، وأزيد في دليل حيرتها حيرةً!.. من أين تنبع الكتابة، من أين تأتي؟ أي مناطق الروح تختلقها؟ من أين تُستجلب؟ كيف تحلُّ في بؤرة الكينونة؟ كأنني مسكونةٌ بشياطين الشّعر؟! يصير جسدي مأوىً لإرهاصاتهم! لست أدري إن كان الأمر سيبقى مستترًا، قابعًا في خلايا الغيبوبة المضمرة! غير أنّي في كلّ أحوالي الكتابيّة، أظلّ متلبسةً بشياطين الشّعر أو ملائكة السّرد، سأظلّ وَقفًا على هواجسي الكتابيّة، حكرًا على حضوري المتكرر في اللغة!، إذ نَحن حتمًا لا نختار أقدارنا!

أيها الفلاسفة،

لا تفتّشوا عبثًا في محافظكم عن عملة الأسئلة، ليس أيٌّ منكم يدري في أيّ جغرافيات الدّماغ يتموضع السّرُّ؟!!

ولا كيف هبط الحلم على الوعي أول مرة؟، وكيف تقولب ليصير لغةً لها سحر الغيب الذي يقطن فينا! لا أحد يدري، ولا نحن الذين نمارس اللغز بوعيٍ مكتمل، ثم نستيقظ من صحو الكتابة على حلم مرّ بنا، كأنّما يخصّ غيرنا، وكأنّما نخصّ غيره!، حُلمًا تظلين، نظلّ نطارد خيالات أبجدياتك دون أن نصل، لم تُخلق طرق الكتابةِ ومضائِقُها للوصول، خُلقت للمشي بها... حتى حتوف الكلام!، ولهذا نموت أحيانًا ونحن نحتسي هواء الصّباح بلذة، بعد أن تلدغنا جملة عبرت متخفّيةً في الذاكرة!، ولهذا أيضًا نُصرعُ ونحن نمارسُ طقوس الحياةِ الوادعة، ثم ما نلبث أن نفوهَ

بحلمٍ داخليٍّ صدعت به الحوارات.

في الحقيقة أنا لا أعرف كيف أكتب، ولا كيف بدأتُ أكتب، ولا كيف سأستمرّ في الكتابة، كل طقوس الـ " كيف" متوارية خلفَ غمامةِ هاجسٍ مكبوت! أدري أنني فقط لا أستطيع ممارسة الحياة خارج الكتابة، الكتابةُ هي الحياة!

لا يمكنني أن أسأل: ما الذي أغراني بكتابة الشعر؟؟ ربما أستطيع أن أدير دفة السّؤال! أستطيع أن أوجّه لنفسي استفسارًا مقلوبًا كالتالي:

ما الذي أغرى الشعرَ بي؟

ليست محاولةً لافتعال النّرجسيّة، إنما أسوق هذا على غرار المحاولة التي يطرحها أحمد مطر في قصيدته:

أنا لا أكتبُ الكلمات، فالكلماتُ تكتُبُني!، إن الشّعر قَدَرٌ خاصٌّ لأولئك الهائمين بحثًا عن رزق مختلف من التّمرد، ولهذا فإنني لا أستطيع أنْ أحدّدَ زمنًا للانطلاقة، إنها ليست مضبوطة بإطار محكم لرصد انفعالاته، وحيثياته، ومتعلّقاته الزّمنية، واشتراطاته المكانيّة، لا يمكنني حسمُ التّوقيت الذي كبست به زرّ كهربائيَ المفخّخة، فانفجرت قريحةُ الكتابة، إنّ الشّعر يؤثث له مملكةً خارج الزمن، مكانُها الهلام، وأحوالها خارجةٌ أبدًا عن أفق التوقّع، معتاصةٌ على الحيازة والشّروط والتّنظير المقولب.

لقد تأثّرتُ -كما نحن جميعًا- بعموم التّجربة العالميّة، إنّ الكتابة من حيثُ هي فعلٌ إنتاجيٌّ مستفزٌّ ومُستَفَزٌّ، مؤطّرةٌ بفعل تأثّري، إنني أقرأ الحكمة أين ما وقعت، لقد قرأت بدر شاكر السّياب، وعرار، ونازك الملائكة، ودرويش، والبيّاتي، وأحمد عبد المعطي حجازي، وصلاح عبد الصبور، وأمل دنقل، وزياد القاسم، وسعدي يوسف، وعبد الرّزاق عبد الواحد، ويوسف الصّائغ وجوزيف حرب، وأمجد ناصر، وعز الدين المناصرة، وإيليا أبو ماضي وفاروق شوشة، ومحمّد الفيتوري، وغيرهم.... غير أنَّ للقُدامى من الشّعراء القدح المعلى، إذ عليهم يرتكز التّأصيل المنطقيّ في قراءة الشّعر أوّل مرة، ولعلّهم ساهموا بنصيب الأسد في تشكيل ذاكرتي الشّعرية وذائقة التّلقي لديّ، امرؤ القيس وعنترة، المتنبّي وأبو تمّام وأبو فراس الحمدانيّ و...

لعلّ الاشتهاء الذي سكنني أوّل مرة تجاه الأغلفة المصقولة بحسنٍ دافئ، والحرفَ الطباعيّ الذي يحمل إغراء الحِبر الأسود في مطابع النّشر الكثيرة، أقول لعلّه هذا الحلم، وهذا المأمول، كان مزوّرًا حدّ أنّي بتُّ أوقنُ تمام اليقين أنّ هذه ليست أوّل الخطوات ولا آخرها،ولا هذه أقصر

الطُّرق صوب مستحيل الوصول،....

ثمّة ما يرقدُ الآن في الذّاكرةِ من محاولات الكتابة البائسة، وثمّة ما يحضر في يقين العشق وشكّ الاحتمالات، حين أطالع بين يديّ أوراقي الصّفراءَ المعتّقة بمشقّة الإنتاج، وغبار الروح السّافي!! (إذن أصمد أو لا أصمد، تلك هي المشكلة!) بعضهم يختار أن يحتال بلعبة الأحرف على طموحاته المتنائية إذن: فيصمت أو يصمت.

قد يستريح من مئونة السّفر وأعباءِ التّرحال والمحاولة؛ صدّقوني! إن الكلامَ الناضح من بئر النّفس الجوانيّة ثقيل ثقيل، إنني لستُ بهذا أنفّس عن كروب الوحشة في دواخلنا المتشققة، أبدًا، الكتابةُ اجترارٌ لحالات البؤس في بعض أحوالها، وفي البعض الآخر دليل -فقط- على نجاعة تجربة التّرجمة من النّفس إلى الحسّ!! (أشعر أنّني منيتُكم بخيبةِ أملٍ عُظمى) هذا ما أفعله دائمًا، لَا ليستِ الصّورة على هذه الدّرجة من الفساد والبؤس!إنني أجهّز جيوش أفكاري كلما أردت الكتابة، وإذ ذاك تدخلني عرامة نشوة الانتصار المؤجّل! لقد قهرت نفسي، لقد فتحت المدينة!....

يحلو لبعض الفاتحين أن يشرب قهوة انتصاره من على صهوة الفرس المدجج بالسّروج! غير أنّي ما ارتكبت خطيئة احتساء القهوة يومًا: (كانت أمي التي أدّمَنَتْها -القهوة- تحذّرني في صغري من أنّني سأصبح سوداء!)، وكنت أحبّ لوني كما هو! دون أن تلوِّثَه صبغة البنِّ المغليّ على نارٍ هادئة، ولهذا فإنني في كل انتصارٍ وبصددِ كلّ فتح، أبلع رمقي واكتفي بظمئيَ المستطير دون قهوة، هذه ضريبة الحروف!

الكتابة ليست فعلاً مجانيًا، إنّ لها ثمنًا عاليًا قد يكلّفكَ أن لا تعرف طعم الأشياء اليومية المبتذلة -كالقهوة- حتى آخر العمر!

لقد كنت في الآونة السّابقة، أتحدّثُ إلى النّاس بثقةٍ بلهاء! حدّ إنّهم نفروا من لغتي المريضةِ بالغرور! كنت ما أزال أشفق عليَّ، أنا المسكونة بخِسارةٍ داخليّة (النقطة فوق الحاء لا تحتها)، إنا المهزوزةُ المهزومةُ المأزومة! بدافعِ الكبتِ العربيِّ الثّقيل! وددت أن أجارَ خارج بياضِ أوراقي ذات جنونٍ ملوَّن! غير أنَّ شاخصات المنع المعلقة أودت بأسراري في دهاليز ضوئها الأحمر! إنني من أجل هذا أكتب! لأنّني ممنوعة من الصّراخ! أكتب حتّى أعصم نفسي من الجنون، حتى أشبهَني أكثر، حتّى أصطلح مع ذاتي، حتّى أستفزّ ذلك المكنون خلف كواليس الروح العميقة، من

منّا يستطيع أن يرافق حلمَه حتى تخوم الإفاقة؟! لا أحد! الأحلام دائمًا تنتهي من غير مسوّغات أو مبررات أو طَرْق استئذانيٍّ على أبوابِ غفَواتنا، ولهذا نحنُ نكتب، حتّى نرافق أحلامنا إلى أقرب مسافة ممكنة، حتى لا يُطلب إلينا المسيرُ مئاتِ الأميال من الأرض البعيدة، فنتجرد منّا ونصبحَ غيرنا.

لقد كان الشّعراء في بلاطات السّلاطين وقصور الملوك، يتعاطَون ترف الكتابة الشّعريّة، في طقس من ردّة فعل طبيعيّة لحياة الخمريات والغزل والالتفاف حول مكامن الثّقل، فتكاثر المدّاحون آنذاك، وأجدُني اليوم على عتباتِ البيوتات المستوية بالأرض أقِف، أناديَ رفيقيَّ الهلاميين لمشاركتي نعيَ هذا الطّلل الذي تدكّه الحضارة، أعجن كتابتي بدم الرّاحلين بصمت صوب فراديسهم، لعلّهم لا تلزمهم قصائدي كثيرًا ليستمروا، نحن من نحتاج أن نستمر، وفي ظلٍّ ثقيل من هذا الهاجس أكتب، يرحل الراحلونَ صوب أوطانهم الحقيقيّة في الزّرقة، ونظلّ نحن هنا نصفّق في كوابيسنا للخراب واليباب، ونلعن ظلامنا دون أن نوقدَ فيه شمعةً واحدةً إلا بالكتابة، لدي يقينٌ بأنّ الشّعر طقسٌ من طقوس الإنارة، تنتاب بضوئِها الكونيّ عتمةَ الرّوح، لا أدري متى تحصل الكتابةُ، ولا كيف، هذا جزءٍ من لغز الهاجس، وعليكم أن تسألوه!، إذ ليس باستطاعة الحالة تتبُّع ذلك ولا ضبطه، أظلُّ فقط مسكونةً بوهم قدرتي على حيازة القادم، ويظلُّ هو نائيًا متمردًا، خارجًا على التاريخ والجغرافيا، وترّهات الواقعيّة.

أتساءل في كثير من حالات الاستغراق، متى يمكنني الاستقالة؟ أنا التي بعدُ لم أبدأ!!! متى أستطيع اعتزال قلمي، دون أن يهدّدني الحبرُ بتدافعٍ كتابيٍّ جديد.

أزعم أنّ قصيدةً ما يمكنها أن تفتح الوجود، لأنها ذرّةٌ كونيّةٌ شديدة الكثافة، وهنا إذ أحيل على الجيولوجيا، قد أزعم أيضًا أنّ للقصيدة عمرًا يشبهُ عمر الأرض، إنَّ الأرض كلَّها ليست سوى قصيدة!، فكيف يمكن التنصّل من أعباءِ الوعي السّياسيّ والقاموس الحياتيّ، ثمّة دائمًا ما يطارد شكّك في إمكان العيش بسلام، الحمام الزّاجل مذبوحٌ على قارعة الصّمت العربيّ، والرّسائل لا تصل، هذه ظفيرة لطفلة في التّاسعة، وهذه خيمةٌ تستمع للنشرة الأخباريّة، بقنوطٍ وجِل، ثمّ هي تغلقُها لتكمل النّشرة وحدها، فقد حفظنا وجعَنا عن ظهر قلب، أو عن قلبِ قلب، القصيدة ترتقي بهمِّها، هكذا أقرؤها، وهي في بعض الحالات ليست سوى همٍّ خالص، البعض ينقصهم بعض التّجرد للتخلّص من ذاتيتهم الصّغيرة، وجغرافيّتهم الضيّقة، يلزمهم توسيعٌ لأفق

الحدقة حتّى يرَوا الصّورة في حجمها الحقيقيّ المطلوبّ!

أصدقائي أقلامَ (أقلام جديدة): ليس لديَّ بضاعةٌ نفعيَّةٌ أعرضُها عليكم، أرجوكم فقط أن لا تتوقفوا، عليكم أن تمارسوا سلطةَ كلماتكم، وأن يمتلك واحدُكم في حنجرتِه قنبلةً تكفي لافتعال انفجار بحجم صوته، اقرؤوا الحياة بصوفيّةٍ زاهد، وبحلم طفل، وبدهشة فيلسوف، وبجسارة محارب مدجّج بالقهر والمطرِ حدّ الموت، تسلّحوا بالشّعر يا أصدقائي، اكتبوا وروح القُدُس يُأيّدكم.

إن الشّعراء القادمين من حلم الكتابةِ الخضراء، وطقوس النّصوص الهائمة في عوالم الروح، وزرقة الفضاءات الفلكيّة، لا يمكنهم أن يقولوا سوى أنّ النّصّ الأكثر تأثيرًا، هو ذلك الذي يُشبِهُنا الأكثر، ذلك الذي يجعلُنا نحبّ أسماءَنا، أشكالنا، علاماتنا، ويزيدُنا يقينًا في قدرته النّووية على فعل شيءٍ ما، وعلى ابتكار المستحيل.

أخيرًا لابدّ أن أعترف لكم بأمر:

لطالما امتلأت أدراجي بمخطوطات اختزنت الحلم، دون أن يُفسِدَهُ تراكمُ الغبار، ولكنّه صار معتّقًا، وصارت له رائحة الغربة النّيّئة لو ظلّ متصلاً بي بحبل سِرِّي خفيّ لجنينًا في العشرين من الارتباكِ!

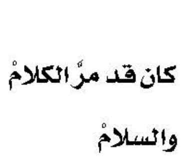
كان ثمة إذن شئ يشبه خواء القصب يسكنني، وبصدد احتمالات الأسئلة القادمة، كنت أفتتح المستغلق في المكنونات! فإذا كان الحلم يباع على الأرصفة، فلماذا إذن، لم أعد اليوم أستطيع ارتكابَ بلاطةٍ واحدة تخصّني؟ توزّع اصفرار أوراقي على خريفها؟

ربما يدوس المارّة اسم جدّي مثلاً، عنوَنَة المجموعة الشعريّة! لكنني "أنا"... ما أزال رابضةً على الرّصيف!، مختالةً في فضاء الغبار، أشتمُّ عوادم السيّارات وأقاوم الأشكّل في فضاء هذا الحصولِ بياضَ حضوري.

مريضةٌ أنا بالكتابةّ وإن كانت تقودني في كلِّ خطوةٍ صوب حتفي! وإن كانت ضرامَ الحلمِ الذي تهفو لمشكاته فراشةٌ غير ملوَّنة! لقد لوَّنت الكتابةُ أشيائي الرّماديّة، فكسرتُ من أجلها كبرياءَ الاعتياد، واصطفيتُها حُلمًا وحيدًا واحدًا، لا ينازعُه في أشواكِه حتّى صبّار المفازة، ما زالت المسافة إذن تبتعد! ما زال القلب في الخفقان ينأى! ما زلت أركض، ما زال اللهاث يسكن خاصرتي، غير أنّي في كلّ رمق موعودةٌ بحلم كتابةٍ مورقةٍ فوق توابيتِ أمانّينا الفادحة!.

ظمأ القصيدة

شعر: إيمان عبد الهادي



رداً على قصيدة (العربة) للشاعر عبد الله أبو شميس المنشورة في مجلة أقلام جديدة – العدد الثاني – شباط – ٢٠٠٧ – صفحة (٨)

بمثابة نقيضة،

إليهم وقد سبقوا الخيل.....

(سائسُ العربة)!

(١)

هذه الأرضُ

وما أبطأ سيرَ العربة

إنها تخذلنا

نسبق الدرب إلى بهجة خطوٍ مُغضَبَةْ!

فاتّبعنا!

أيها الشاعرُ،

قد جفّ الندى في مهمه الحرفِ

فشدّ السّرج حتى نسكبهْ!

(٢)

علمنا بأنّا .... نسوق خطانا إلى الأحجياتِ

فحتى متى؟

نحبسُ الأجوبةْ!

(٣)

(أيها السائس رفقًا بالخيول المُتعبةْ) *

كان قد مرَّ الكلامْ

والسلامْ

غير أن الأرض تجترّ خطانا... في الظلامْ

إنني الآن أُسوّي أحرف الفجأةِ

أستسقي الضّرامْ

وعلى جبهتها -الخيل- يقينٌ

أنها تُبعث والحبل احتدامْ

فلماذا؟

كانت الذاكرة المدهوسة -الوهم-

تحزّ (الحلم) حول الرقبةْ!

(٤)

مُتربةْ

تحضر اللهفةُ

إذ تطوي خطانا الأرضُ

أو تطوي خطانا الأرضَ

في بسمة نصر مُسهَبةْ!

آهِ...

واحدودب ظهرُ الخيلِ

في آخر مضمارٍ بهذي (العتبةْ)

❖إحالة :محمد الفيتوري،الأعمال الكاملة. (*)

ثم ماذا؟

تعثر الأسماء بالأحرف في أول تهجئة

ولكن

تتلعثمْ!

بتّ تخشى حلمكَ

الدولابُ ينفكُّ عن الهيكلِ

أنت من يجري مع الخيل، وليس العربةْ

أدرك الخيل... تقدّمْ!

خطوةٌ أخرى فقد أدرك إشعاعُكَ -أيضًا- مغربَهْ!

ثم ماذا؟

واهمٌ والقصدُ شكٌّ يتوهّمْ!

(٥)

ليست المشكلة -إذًا- من يسبقُ الآخرَ؟

فالآخرُ (إنّا)!

والكلام الاستباقيُّ تماهى....

فاستدر نحو الخيولِ على يقينٍ من سواها!

وارتكب للأرض أجنحةً

وحلّق في مداها..

إنّها الأشياء تُطوى

تحت دولابٍ بسير العربةْ

لا تقف في مركز التفكيرِ

اضربْ! في يقين العتبةْ

والتحق بالريحِ

إن الريحَ تستفسر عنكَ الأتربةْ!

(٦)

إنها الآن قصيدة!، إنها الآن بعيدة!

غير أن الأبجديات بها أميّة جدّ عنيدةْ

وحدها الخيلُ... وأنتَ

وصديقان هلاميانِ في الأرضِ الفقيدةْ!

ليس غير العربةْ

كلما اقتربت أحلامُهم منها

تغذّ السّيرَ

في النّأي.. ولا تقرأ في المنفى بريدهْ

مزّقت في الغربةِ القصوى رسائلهم

ومادت

بينَ ظلِّ الشاعرِ المسكونِ أوطانًا شهيدةْ

ظلٌّ يقتصُّ الطريق -الحلمَ

يجترُّ القصيدةْ

فوق آثار مرور (التجربةْ)

أيها الصّعلوكُ

يصهلك الليل ويشكو وَصَبَهْ

أيها الشّاعر (مهلاً)

سبقتنا العَربةْ !!

الناقد نزيه أبو نضال:

لا يوجد ما يُعيق المبدع الحقيقي

وبعض المبتدئين يستعجلون النشر والشهرة

حوار: عمر تيسير شاهين*

نزيه أبو نضال، اسم معروف في عالم النقد في الأردن والعالم العربي، له عشرات المؤلفات الفكرية والنقدية، تناول فيها العديد من قضايا الأدب وأجناسه وخاصة الرواية النسوية، والتاريخ الأدبي، والسيرة، وعلاقة الأدب والثقافة بالسلطة، وغيرها الكثير من القضايا التي شغلت المثقفين منذ الستينيات وحتى اليوم.

كما أنه متابع دؤوب للتحولات والتطورات التي تشهدها ساحات الثقافة والأدب والفن، وخاصة الدراما التي كتب العديد من أعمالها الإذاعية، وتابع شؤونها بالنقد والتحليل. وهو أيضًا صاحب تجربة عريقة في الصحافة الأدبية الورقية، والإلكترونية، مما يجعل الحوار معه متشعبًا ومفيدًا وثريًا، وخاصة للأجيال الجديدة من الكتّاب الذين يهمنا أن يطّلعوا على تجارب من سبقوهم.

• أستاذ نزيه أبو نضال بعد أكثر من أربعين كتابًا وأربعين عامًا من الكتابة كيف تُقدّم نفسك كاتبًا من خلال إصداراتك ؟

– البداية كانت في منتصف الستينيات، من جامعة القاهرة؛ حيث نشرت مبكرًا في مصر قصصًا ومقالات نقدية، في مجلات "القصة" و "الثقافة" و "مجلة الأدب العربي"، كنت ربما لا زلت أبحث عن طريقي في الكتابة، ثم توقفت هذه المحاولات عدة سنوات بسبب انخراطي في صفوف الثورة الفلسطينية، وعادت مجددًا في أوائل السبعينيات حين أصبحت رئيس اتحاد الكتاب الفلسطينيين في لبنان لمدة عشر سنوات، وذلك من خلال انشغالي السياسي

* كاتب وقاص من الجيل الجديد – الأردن

الإعلامي والنقابي بسؤال: ما هي وظيفة الأدب ودوره في المعركة الوطنية، وللإجابة عن السؤال ساهمت في إصدار مجلة الرأي الثقافية اللبنانية مع ناجي علوش ومنير شفيق وآخرين، كما أصدرت كتابين هما: "الشعر الفلسطيني المقاتل" و "جدل الشعر والثورة"، ولكن مع بدء الانحراف السياسي عن برنامج الثورة فيما عرف لاحقًا ببرنامج النقاط العشر، وحول بعض التحريفات النظرية لفكر الثورة العربية والعالمية عمومًا فقد أصدرت على التوالي: "مواجهات سياسية" ثم "في مواجهة عقلية التسوية" وبعده "البرنامج الفلسطيني بين نهجي التسوية والتحرير"، ثم "تاريخية الأزمة في حركة فتح"، ومع اشتداد حالة القمع في الساحتين الفلسطينية والعربية أصدرت على التوالي: "أدب السجون"، "الثقافة والديمقراطية"، "المثقفون في الحصار"، وعبر هذه المسيرة الدامية فقدت الكثير من الأحبة والأصدقاء المناضلين وساهمت في إصدار كتب عنهم: "كمال ناصر"، " ذكريات عن الشهيد كمال ناصر"، "الشهداء الثلاثة"، ماجد أبو شرار"، "أبو سلمى: زيتونة فلسطين"، "معين بسيسو"، "غسان كنفاني". وإثر عودتي إلى الأردن بداية التسعينيات أصدرت "الثقافة العربية الفلسطينية في المواجهة"، "الأدباء العرب في مواجهة التحديات، حول: المثقف والسلطة"، "في مقاومة التطبيع الثقافي" ثم انشغلت بالرواية باعتبارها ديوان العرب الجديد فأصدرت على التوالي: "علامات على طريق الرواية في الأردن"، " روايات وروائيون من الأردن" (بالإنكليزية)، "غالب هلسا، وببليوغرافيا مصادره الكتابية"، "التحولات في الرواية العربية"، وضمن انشغالي بقضية المرأة وروايتها، باعتبارها مثل فلسطين منطقة محتلة، أصدرت كتابي "تمرد الأنثى". وأنا الآن بصدد إصدار جديد عن إبداع المرأة يتناول القصة القصيرة والنص والشعر والرواية والمسرحية والدراما التلفزيونية.



نزيه أبو نضال



• من خلال عناوين كتبك أجد بينها قاسمًا مشتركًا وهو انشغالك بعلاقة المثقف بالسياسة ودور المثقف في المقاومة، أما زلت ترى بأن للثقافة وللمثقفين ذلك الدور المؤثر والفاعل في صنع الأحداث وتوجيهها في ظل تغوّل العولمة وسيادة الفكر الاستهلاكي وانهيار أحلام المثقف العربي؟

– السؤال كما أرى ينطلق من افتراض وجود تراجع ملحوظ لدور المثقف العربي في التأثير في المجتمع، وهذا صحيح عمومًا، قياسًا لدوره في مراحل سابقة، وفي أقطار

أخرى، ويرتبط ذلك بانقلاب مفهوم المثقف وتحوله إلى حالة نخبوية معزولة عن الناس.

إن الثقافة هي منظومة الأفكار والمعتقدات والإبداعات التي تصوغ وعي الجماعة وتحرضها باتجاه ممارسة فعل تغيير الواقع، وكما برز ذلك مثلاً قبيل الثورة الفرنسية في:

كتابات فولتير، أفكار جان جاك روسو، تشريعات مونتسكيو، تحريضات توماس بين..الخ..وعندنا مع بدايات عصر التنوير وانطلاق الأفكار الثورية والقومية والإصلاحية: جمال الدين الأفغاني، الشيخ محمد عبده، الكواكبي، ابن باديس، مصطفى كامل ساطع الحصري، قاسم أمين، هدى شعراوي، الشعر، الأدب، الصحافة، الأحزاب المختلفة.. الخ..

ومرد ذلك يعود في ظني إلى شيوع مناخات الفكر الاستهلاكي، والبحث عن حلول فردية أمام أوضاع عامة صارمة يصعب تغييرها، في ظل حراسة آلة القمع وتغييب الديمقراطية، عندما تحول المواطن العربي إلى مجرد آلة بحث عن الرغيف، وإلى مجرد متفرج على الشاشة الصغيرة، لمتابعة المذبحة اليومية لأخيه العربي في فلسطين والعراق ولبنان.

فماذا يفعل الفرد الأعزل المدجج بالغضب والإحساس بالعار، الذي لا يجد من يوجهه سوى أمراء الظلام.. ماذا يفعل سوى أن يتزنر بالديناميت وينفجر في وجه ظلم العالم. إن كل ذلك ورغم ما فيه من سلبيات ليس سوى بشائر ومقدمات سيليها بالضرورة اكتشاف لا جدوى الفعل الفردي الغاضب. ولا بد بالمقابل من صياغة معادلة جديدة تقوم على سلاح العقيدة الواعية والمنظمة في مجابهة عقيدة السلاح، ولعل في التجربة اللبنانية في مواجهة الاحتلال أولاً ثم العدوان ثانيًا ما يشكل نموذجًا يمكن أن يتجلى بأشكال مختلفة حسب طبيعة الصراع ووقائعه في كل قطر عربي، وهذا التجلّي يقوم أساسًا، على إعادة الاعتبار للفكر والعقيدة كما للكلمة والموسيقى والفنون عمومًا في استنهاض الأمة . وبهذا يمكن للفعل الثقافي أن يعاود دوره في التأثير في حيوات الناس وصياغة وعي جديد لهم يشكل بوصلة نضال لزمن مختلف.

لا أظن أن هناك ما يعيق مبدعًا حقيقيًا شابًا كان أم كهلاً، لكن المشكل يتجلى في أن بعض المبتدئين وقبل أن تنضج تجربتهم يتعجلون النشر والوصول والشهرة

• عبر تجربتك الطويلة ومتابعاتك الثقافية ما هي أكثر عوائق الكتابة الشبابية؟

– لا أظن أن هناك ما يعيق مبدعًا حقيقيًا شابًا كان أم كهلاً، لكن المشكل يتجلى في أن بعض المبتدئين وقبل أن تنضج تجربتهم يتعجلون النشر والوصول والشهرة، ويتوهمون أن تأخير ذلك سببه وجود مؤامرة ما ، لكنني أظن أن كل منابر النشر ترحب بأي إبداع

حقيقي بل هي بالفعل تحتاجه وتبحث عنه لكن ربما ليس بالجدية الكافية، ونحن في مجلة "تايكي" مثلاً ننتظر بلهفة وصول أي كتابة إبداعية شابة لنشرها. ولكن الإبداع الحقيقي قليل دائمًا.

• ولكن مجلة "أقلام جديدة" قدمت كتابات كثيرة في الأعداد الأولى، فهل هذا يدل على تجاهل أجيال شبابية في الماضي فأين العناية في الجيل الشبابي؟

– لعلنا إذا تابعنا تجربة "أقلام جديدة" التي أتمنى لها النجاح والتوفيق سنجد الجواب: هل المشكلة في المبدعين أم في مجالات النشر، خاصة إذا كرست المجلة جهودها بهذا الاتجاه فلعل وعسى، وأذكر هنا تجربتنا في مجلة عبد ربه الساخرة وقد أتاح وجودها ظهور أقلام ساخرة جديدة (أحمد أبو خليل، عبد الهادي المجالي.. الخ..) بينها أصوات لكاتبات ساخرات لكن التجربة للأسف أوقفت. لكن المبدع الحقيقي سيجد مكانه في كل الظروف.

• يلحظ البعض أن الجيل الشبابي الحالي لا يسعى إلى تطوير أدواته وقلة اطلاعه وقراءته فكيف الطريق إلى تطوير الموهبة؟

– لعل الجواب وارد في السؤال؛ فالموهبة وحدها لا تكفي دون صقل متصل واطلاع على مختلف جوانب الحياة الثقافية فهذا أكثر من ضروري بالنسبة للمبدع عمقًا واستمرارًا وتقدمًا.

• هل جيل التسعينيات طفرة لن تتكرر بالنسبة للجيل الشبابي ؟

– كل جيل هو بمعنى ما طفرة لمن قبله، وتروي البرديات المصرية القديمة قبل سبعة آلاف سنة كيف يشكو أب مصري من تمرد أبنائه، وبأن جيله كان مطيعًا لوالديه على عكس هذا الجيل الجديد، ولكن بالتأكيد ثمة شروط موضوعية قد تنعكس على عمق بعض الطفرات ومداها، كما هو الحال في مرحلة الستينيات مثلاً، (الثورة الطلابية العالمية، ظهور الفرق الثورية العالمية، انطلاق ظواهر إبداعية جديدة في حقول عدة.. الخ..) وعلى المستويين العالمي والعربي، وكذلك مرحلة التسعينيات وسقوط المشاريع الكبرى في عالمنا: انهيار المنظومة الاشتراكية، سقوط المشروع القومي مع حرب الخليج الأولى على العراق، سقوط المشروع الوطني الفلسطيني في أوسلو. . الخ..

• تلجأ الفتيات إلى القصة ويبتعدن عن الشعر عمومًا، لماذا وأنت خبير بالأدب السنوي؟

– يبدو أن الأمهات والجدات من حفيدات شهرزاد أقرب إلى السرد.. فهو لا يحتاج إلى خيال تجريدي وتجنيح بالصور كالشعر، ولا إلى تجربة حياة عميقة وواسعة كالرواية، ولا إلى فكر نظري كالفلسفة، فيكون أن تجد الكاتبة بغيتها للتعبير عن ذاتها بالقصّ، وبما يتيحه ذلك من إمكانية للبوح الموارب والرمزي بعيدًا عن تجريدات الشعر

وتصاويره، وبعيدًا عن مكاشفات الرواية.

- **الكثير من الشباب يحاول القفز فجأة نحو الكتابة الروائية، فهل تُشجع على ذلك أم تدعو لكتابة القصة أولاً وعدم التسرع في دخول عالم الرواية؟**

– ليست القصة القصيرة سلمًا أو تدريبًا أوليًا على كتابة الرواية.. فكل منهما فن قائم بذاته، وله شروطه الخاصة به. ولا أظن أن يوسف إدريس أو زكريا تامر أو سعود قبيلات أو محمد خضر أقل أهمية من أي كاتب روائي آخر. غير أن كتابة الرواية عمومًا تحتاج إلى امتلاك تجربة حياتية وثقافية أشمل وأعمق؛ نظرًا لاحتياجات هذا النوع الأدبي.. بينما تحتاج القصة مثلاً قدرة أعلى على التقاط اللحظة والتعبير عنها بفنية عالية وبأقل قدر من الكلام، ومن هنا ربما ولدت القصة القصيرة جدًا.

- **مع اهتمامك الكبير جدًا بالشعر والرواية والقصة الممتد لأربعة عقود لم نجد لك سوى معاونة الشاعرة الشابة نوال العلي والتجربة الفريدة لمهند سيف الدين العزب فهل تطلعنا على التجارب الشبابية الأخرى التي رعيتها ولم نعرفها؟**

– لا أظن أن الأمر يتصل بالرعاية بل ربما بالاكتشاف المبكر والاهتمام اللازم لدعم الموهبة التي تستحق الدعم بمعزل عن عمرها، وأظن أنه كان شرفًا لي متابعتي المبكرة جدًا لتجربة زياد قاسم الروائية، وكذلك زهره عمر رحمها الله. غير أن إسهامي الفعلي، إذا شئت، كان بمتابعة العديد من طلبة الدراسات العليا خلال إعداد أطروحاتهم، وذلك بتوجيه كريم من أساتذتهم نحوي، ولكن لعل ما أنجزته عمومًا هو نصح الكثيرين للبحث عن مجالات أخرى قد يتقنونها خيرًا من الكتابة.. فرحمتهم ورحمت الناس.

- **أنت من المشددين على مسألة التجنيس والحفاظ عليها ومع ذلك تحمست لسيرة النائم للشابة نوال العلي وليلة اكتمال الذئب اللذين وضعانا في حيرة حول تجنيس ما كتبوا؟**

– بالنسبة لي: الإبداع أولاً، بمعزل عن نوعه، ثم يأتي دور النقد وملاحظاته ، وأظن أن الصوتين اللذين أشرت لهما : نوال ومهند، هما مبدعان بامتياز وهذا هو الأهم ثم يأتي بعد ذلك الحديث عن موقع النوع الأدبي وعن ضرورة مراعاة الحدود بين الأجناس الفنية.

- **ضمن صعوبات النشر الورقي هل تُشجع على النشر الرقمي الذي قد يكون أسهل بكثير على الشباب مع ملاحظة أنه لا يتشدد في ضبط المواد مثل النشر الورقي. وما نصيحتك وأنت من أوائل من عملوا في موقع "البوابة"؟**

– في ندوة شاركت بها حول غياب الكتاب الورقي، على هامش معرض الكتاب، في أمانة عمان الكبرى، طرحت وجهة نظر تقول : لماذا يجب أن تأخذ الرواية شكل كتاب لا يقرأه أحد تقريبًا، ولا تأخذ مثلاً

شكل مسلسل درامي يشاهده الملايين؟ المهم في نهاية المطاف كيف يلعب الإبداع دوره في حياة الناس، ويُغيرهم إلى الأجمل والأنفع، بعيدًا عن وسيلة الاتصال، بمعنى ما الذي يمنع المتلقي من قراءة محفوظ أو مينه عبر المشاهدة البصرية للدراما التلفزيونية.. فنشاهد ثلاثية محفوظ العظيمة، كما نتابع الشراع والعاصفة باستمتاع مع نهاية رجل شجاع، بكل ما فيها من أحداث وشخصيات وأماكن وحواريات وتأثيرات موسيقية ومشاهد بصرية.

إن الكتاب العربي المطبوع نفسه مجرد أداة توصيل حديثة لا يتجاوز عمرها قرنين من الزمن (حملة نابليون على مصر نهاية القرن الثامن عشر) والرواية مثلاً التي نريد نشرها من خلال كتاب لا يتجاوز عمرها، الثلاثة قرون، وبالتالي فإن الكتاب كأداة لتوصيل أنواع محددة من الإبداع، هو ظاهرة جزئية وعابرة في تاريخ الثقافة الإنسانية وبالإمكان توصيل بعضها عبر أدوات أخرى، وكما رأينا بالنسبة للإبداع الدرامي التلفزيوني، فإن وليد سيف قد انصرف عن الشعر تقريبًا وذهب إلى الدراما وجمال أبو حمدان يفعل مثل هذا، ولكن إلى جانب الاستمرار مع الكتاب: قصة ورواية، وأسامة عكاشة الذي لم يطبع سوى روايتين اكتفى بالدراما الإبداعية ولولاها لربما كان من أشهر الروائيين العرب، وأكثرهم إنتاجًا.

ليست القصة القصيرة سلمًا أو تدريبًا أوليًا على كتابة الرواية.. فكل منهما فن قائم بذاته، وله شروطه الخاصة به

ولكن بالطبع ليس كل الإبداع رواية وليست كل رواية تصلح للتحول إلى دراما تلفزيونية، مما يجعل مسألة أزمة انتشار الكتاب الإبداعي قائمة، غير أن سبل تجاوز الأزمة لا تنصبّ بالضرورة على الكتاب؛ فقد نحتاج إلى استخدام أدوات توصيل جديدة: مثلا، من خلال تطوير الكتاب الإلكتروني، سواء عبر الانترنت أم بواسطة الـ (سي دي) باستخدام اللوحة والموسيقى مع الشعر، ويمكن أن يحل صوت متميز في الإلقاء الشعري بديلاً للحرف المطبوع الخ.. وبالتالي يكون الاهتمام منصبًا على الإبداع نفسه وعلى كيفية إيصاله بأيسر صورة وأجملها، وبغض النظر إذا كانت أداة التوصيل كتابًا أو أية أداة أخرى.

أريد أن أقول بأن ما يُؤرقني فعلاً هو الإبداع نفسه بما هو قيمة جمالية تمتلك عناصر جذب المتلقي بما تقدمه من متعة وفائدة، كما تمتلك خاصية النفاذ إلى وجدان المستقبل وعقله فتؤثّر وتُغيّر.. بفعل ما فيها من سحر الفن والإبداع، كما يقول آرنست فيشر.

بعد ذلك تأتي مسألة أداة توصيل هذا الإبداع من خلال أيسر وأجمل الطرق وأكثرها جدوى وتأثيرًا، سواء كانت كتابًا أو أية أداة أخرى. وأظن هذا ينطبق على مسألة الكتاب الورقي والكتاب الرقمي.. المهم هو الوصول إلى الناس، والأهم هو ماذا نقول لهم .





حكايتي مع مجلة "أقلام جديدة"

لينا إسماعيل مطاوع*

لن أكذب على الآخرين، أنا أُحب الشهرة والأضواء، وفي داخلي يعتمل غرور على الرغم من أن مظهري لا يُوحي بغير التواضع، ولكنني أستمتع بل أطرب عندما تمتلئ أذني بكلمات المديح، فأنا أعشق الإشادة بأشعاري.

قبل شهر ونيف، قادتني قدماي إلى مجلة "أقلام جديدة"، لا أرغب في جعل أبي محور هذه الحكاية كما فعلتُ في مقدمة ديواني الصغير، سأكون أكثر صدقًا إن قلت إنه هو الذي أخذني إلى المجلة لا قدماي، لقد كان محْرَمًا لي في تلك الزيارة.

صعد بي المصعد إلى الطابق الخامس، كم هي ممتعة فكرة الصعود والارتقاء، يتحرك القلب مع حركة المصعد، هل يشعر المحلق في الجوّ بمثل تلك الحركة؟ ليته يبوح لي بشعوره، وما الفرق بين الصعود والتحليق والعروج؟ تساءلتُ في نفسي والمصعد يرتقي حينًا ويتوقف حينًا.

غادرتُ المصعد لأسير عبر ممر غير مستقيم حتى دلفتُ إلى مكتب المجلة، كان بسيطًا وضيقًا، غمرني إحساس بارتياح ما، لو كان فسيحًا وفاخر الأثاث لأُصبتُ بارتباك، أنا في أُلفة مع البساطة والفوضى، ومكتب المجلة يحوز هذه الأوصاف.

تفضل يا سيدي نسخة من ديواني الصغير، هذا السيد هو رئيس التحرير، كان لديه بعض الضيوف فلم أجد منه اهتمامًا جدّيًا، لن أركز على وصفه،

* من الأقلام الجديدة - طالبة في الصف العاشر- الأردن

رأيته رجلاً وسيمًا رغم تقدمه في السن، ويبدو من قسمات وجهه الأبيض أنه طيب لطيف المعشر، شكرني بصوت هادئ بعث في قلبي السكينة.

انتقلت إلى غرفة مدير التحرير، إنه محاصر في غرفة ضيقة مكتظة، ناولته نسخة، تأملها قليلاً وتأملني كثيرًا، قلب بعض الصفحات بسرعة، أهمل الكتاب وبدأ يكيل النصائح لي، أزعجتني نظراته المصوبة إليّ وما تحمله من سخرية، خامرني هذا الشعور، في كلماته وجع لقلبي: لِمَ تسرعتِ بنشر الديوان، سيأخذ عنكِ القارئ فكرة سيئة لأن شعركِ ضعيف، أنتِ بعيدة عن مستوى محمود درويش و ...الخ. لم أكن مهيأة لاحتمال النصائح والإرشادات، لا داعي للنقد الشفوي، أُكتب ما يحلو لك. سيدي: أنتَ تنتقد قبل أن تقرأ شيئًا، حنانيك، دع معولك جانبًا فأنت تحطمني بكلامك، أنا على معرفة بنفسي وبما أكتب، ما زلتُ بعيدة عن طبقة الشعراء المجيدين، ولكنني سأزاحمهم على المقاعد الأولى في تلك الطبقة، أردتُ أن أقول له: يا حج عزمي لا تفتّ في عزمي، لم أقل لأن الأستاذ محمد ضمرة كان قد دخل الغرفة وجلس جانبي.

أنا لا أعرف أحدًا ممن قابلتُ حتى اللحظة، أما الأستاذ محمد، فقد قرأتُ له قليلاً، ويبدو أنّ ذهابي إلى المجلة كان فيه شوق لأن أعثر عليه وأتحدث معه، كنتُ منذ أيام أطالع كتابًا نقديًا له عن مكانة المكان، كم أدهشني أن أراه يتابع الحرف والكلمة، والرمز والدلالة والمقصد والمعنى، لا أظن أن كاتب القصيدة قد أراد الكثير مما تحدثَ عنه الأستاذ، أظنه قوّله ما لم يخطر له على بال، هذا الشخص يشبه العرافة التي تقرأ الكف وتحلل خطوطه، تعطيك من الأوهام ما تحب تصديقه، آه يا قارئ الكف وأنتَ جاري بالجنب، هل ستكتب شيئًا عن شعري؟ أُكتب عني يا جاري في المقعد في الغرفة الضيقة، كنتُ أحلم للحظات رائعة تناسيت خلالها نظرات مدير التحرير ونصائحه.

تأمل الأستاذ الديوان وقال بعد هنيهة إنني شاعرة موهوبة، قلبي غادرني محلقًا بعيدًا فوق الطابق الخامس، نظرتُ بطرف عيني إلى مدير التحرير لأرصد سريعًا ردة فعله وتعابير وجهه، لقد قتلتني كمدًا منذ قليل بنصائحك، كم قتلتَ قبلي من الشباب أيها العجوز؟! لا أريد شهادة الدكتوراه منك، وأرضى بالابتدائية أتسلمها من يد الأستاذ محمد.

انصرم شهر قبل أن أرجع إلى مكتب المجلة، حالفني الحظ هذه المرة، فقد

التقيتُ الرجال الثلاثة الذين تحدثتُ عنهم، كانوا معًا، لقد جمعتنا زنزانة مدير التحرير، رهبة المكان والموقف كانت قد ودعتني وغادرت في حال سبيلها، كنتُ أحمل طفلين لي، بل قصيدتين تنتهيان بالميم، شكرتهم على ما كتبه الأستاذ محمد ضمرة عني في صحفية الرأي، لم أحدثه أنني وزعتُ صورة مقاله على العشرات من الزميلات والأقارب، إنه لم يمنحني في مقاله ما كنت أرغب وأحب وآمل، ولكنها البداية.

لم تعجبه القصيدة الأولى، كانت أغنية لعمان، تتبعتُ فيها خُطى الشاعر حيدر محمود، كنتُ أقلده، بل أدخلتُ فيها بعضًا من شعره دون إذن مباشر منه، فأنا لا أعرف عنه إلا أشعاره.

سار بي الأستاذ محمد إلى خارج المكتب، لقد أراد الهروب لتدخين سيجارة، الدكتور الرئيس لا يحتمل رائحة الدخان الكريهة، فضرب محمد عصفورين بحجر، علّق أبي عليها بأنها مثل مفاوضات "الكاريدور" بين وفد اليهود والوفود العربية في محادثات السلام الفاشلة، في الحقيقة كان المتكلم وكنتُ المستمعة، أخذ دوره في كيل النصائح لي، بدأتُ أتنغص، لم أعد منصتة، بعض الكلمات والحروف هي ما يتسلل إلى طبلة الأذن، أحرق سيجارته وأعصابي وعدنا ثانية.

رجع الحديث عن موهبتي الفطرية وضعف قصيدتي التي أغازل فيها عمان، اتُهِمتُ بأنني أُنهكُ الشعر لأنني أرجع إلى معاجم اللغة، يريدون مني أن أعبث بالمياه الضحلة على شطّ اللغة العربية، وأنا أريد الغرق في لجّة بحرها، أنا أريد شخصية مميزة بعيدة عن هامشية الشعراء الذين يكررون الألفاظ نفسها في ثياب رثّة متناقضة، باختصار، أرغب بشق طريق خاصة بي.

ناولتهم قصيدتي الميمية الثانية بعد أن قرأتُ أبياتًا منها، أعجبوا بها ولكن..! تناول الدكتور الرئيس الورقة، بدأ ينتقد بعض الكلمات: أنهدت خيرٌ من انهارت، ما البديل الشعري لكلمة تمتصه... الخ. قلتُ في نفسي: ألا يكفي أبي أيها العجائز الثلاثة؟ نظرتُ إلى عنق الدكتور الوسيم، لم أتبينه بوضوح، إنه قادر على إخفائه بجلسته الجميلة، تخيلته وزيرًا يشغل حقيبة غير ذات بال، فعرف قدر نفسه بأنه أكبر منها، كان ذقنه مرتكزًا على نهايات صدره.

مدير التحرير بعيد عني، كان متمترسًا خلف مكتبه، بيني وبينه عشرات من الكراسي والأدوات، ومن الصعب زحزحة رأس الدكتور المستند إلى صدره،

لم يبق إلا أنتَ يا أستاذ محمد، تأملتُ أصابعي، إنها طويلة إلى الحد الذي يمكّنني من الإحاطة بعنقه غير المكتنزة، هل أقفز وأفاجئه بلفّ أصابعي حولها؟! فيكون فداءً للعجوزين وشفاء لنفسي.

أحس أبي بالغضب الذي أعانيه، هو يعرف حبي للمناكفة والمشاكسة، بدأ بتلطيف الجو ببعض الحكايات المضحكة حول عمله غير المجدي، أدركتُ أنه قرر الانسحاب وسحبي معه، جعلهم يبتسمون ويضحكون، نظر إليّ بعد إغلاق الباب خلفنا، أجبته فورًا: إنهم أعمامي، أرأيت لطفهم معي؟ إنهم يقدمون لي القهوة التي لا أشربها، أطال الله أعمارهم.

في الحقيقة ما زلت ماكرة، لقد وضعتُ ضدهم خطة لئيمة، سأحضر في سبتٍ ما وحدي، سلاحي لن يكون قصيدةً هذه المرة، سيكون سيجارة من الأنواع الرديئة، أعلم أن الأستاذ محمد سينجو من التأثير الكيماوي لسمومها، فهو قد التهم من الجرعات ما يكفي لإعطائه المناعة الكلية، قصباته الهوائية تكسوها بطانة واقية كالدرع، أما الشيخان الوسيم منهما وأبو العيون الجريئة، فأظن أن نوبة طويلة من الربو والعطس ستدهمهما، قنبلة الكيماوي الصدّامية تنتظركما، مخططاتي واضحة منشورة كخطط صديقنا الأميركي ضدنا، لم يعد الأقوياء يخجلون من نشر خططهم، وأنا صبية قوية، سآتيكم على غفلة من أبي وأهاجمكم على حين غرةٍ منكم، ذرني وسأُفرغ لهم، ساعة الصفر هي المجهولة إلا لي.

أخبرني الأستاذ محمد أنه يكتب دراسة عن شاعر الأردن حيدر محمود، زعم أنّه لم يكتب في دواوينه الست كلمة غريبة تتطلب الرجوع إلى المعاجم، كنتُ محظوظة حقًا، قابلتُ الشاعر بعد أيام، أهديته نسخة من ديواني، حوّرتُ على قصيدة عمّان، أخرجتها بثوب جديد، نافقتُ الشاعر وناكفت الأستاذ دون أن يعرف أحدهما الآخر، صار اسم القصيدة "عمّان معشوقة حيدر" قال لي: تعالي يا ابنتي لنأخذ صورة معًا، لم يكن وحده، كان برفقته صديقه الدكتور أسعد عبد الرحمن، ألم أقل لكم إنني سأطرق كل الأبواب المؤدية إلى الشهرة، هل سأكتفي؟ الجميع واهم إن ظنّ توقفي، سأحاربُ للحفاظ على مجالي الحيوي. سأهاجم معالي وزير الثقافة في عقر وزارته، شعاري أيها السادة الأفاضل: لا لليأس، والشهرة أولاً. الأردن أولاً شعار المرحلة للعموم، والشهرة أولاً شعاري الشخصي، وشكرًا. والآن يا سادة يا كرام، هاكم قصيدتي الجديدة التي أتقدم بها إليكم لنشرها:

عمان معشوقة حيدر

لينا إسماعيل مطاوع*

عَمـانُ يـا امــرأة صـعـبٌ أُوصِّـفـهـا — لا تـرعـوي أبـدًا أن تـسـتـبـيح دمـي

أنـتِ الـيـمـامـةُ فـي الـعـيـنـيِن مسكنها — أنـتِ الـتـمـيـمـةُ حـول الجـيـد فـي الـلـمـم

عـمّــان فـاتـنـةٌ لـلـحـبِ مُـغـريـةٌ — تـبـقـى مـفـاتـنـهـا فـي الـنـفـس كـالـوَشَـمِ

عـمّــانُ مُـبـهـجـةٌ فـي الحـب مُـغـدقـةٌ — والـنـورُ جـلـلّـهـا فـي الـنـفـسِ كـالـنـغـمِ

عـمّــانُ عـاشـقـةٌ بـالحـبِ وارفــةٌ — بـالخـيـر مـورقـةٌ فـي الـعـين كـالحـلـم

عـمّــانُ ديـمـتـنـا بـالـشـهـدِ غـاديـةٌ — عـمّــانُ خـيـمـتـنـا تحـوي عـلـى الـنِـعَـمِ

عـمّــان نـاعـمـةٌ تـكـسـو أحـبـتـهـا — دفـئًـا وأبـهـةً بـالـعـزِّ والـكـرمِ

عـمّــانُ واعــدةٌ تُـوفـي بمـا وعـدت — عـمّــانُ مـوعـدةٌ لـلـخـصـمِ بـالـعـدمِ

عـمّــان تـلـبـسـه كـالـشـعـر يـلـبـسـهـا — تـرنـو يـغـازلـهـا والـقـلـبُ فـي ضَـرَمِ

* * *

عـمّــان يـا امــرأة أضـحـى يـغـازلـهـا — الحـيـدرُ الـشـهـم المحـمـود فـي عَـشَـمِ

هـيّـا احـضـنـيـه فـفـي أشـعـاره شَـغَـفٌ — أنّ المحـبـةَ تـبـدو فـيـه كـالـسَـقَـمِ

شكرًا لكم يا سادتي الكرام، أرجوكم احتمال أحلام أو أوهام صبية ترفرف كالفراشة في عمر بناتكم، سلّمكم الله على أن أتحتم لي ولأمثالي من الشباب المتحمس الدافق نشاطًا بيتًا يلمّنا، أكرر اعتذاري وشكري، والسلام.........

* من الأقلام الجديدة – طالبة في الصف العاشر – الأردن.

أفُول

مشعل الأزدي*

إذا النجْمُ لاحَ بداجي الأُفُقْ … وأشْعَلَ قنديلَه وائتلَقْ

وحفَّتْ به لُجَّةٌ من ضياءٍ … تنيرُ الفضاءَ وتجلو الغَسَقْ

وشايعه عارضٌ من رذاذٍ … وغيمٌ شفيفٌ وبرْقٌ خَفَقْ

وريحٌ له نَفَسٌ عاطِرٌ … ودرٌّ تناثَرَ حتّى اتّسَقْ

هتفْتُ أيا نجمُ هل مؤنِسٌ … ليدْفَعَ عنّي جيوشَ الأرَقْ

فإنّي تأوّبني طارقٌ … مُمِضٌّ وهمٌّ لقلبي استرقْ

وإنّي اعتراني يأسٌ شديدٌ … وخامرني الشكُّ في مَنْ خَلَق

وخلّفني أهلُ هذا الزمان … بحالٍ شقيٍّ ودمْعٍ شَرِقْ

وضنّوا عليَّ بصافي الودادِ … فجاشت بروحي جيوشُ الحُرَقْ

ففارقْتُهُمْ وفؤادي حزينٌ … وودّعْتُهُمْ وضُلوعي مِزَقْ

وأصفَيْتُ ودّيَ للخائنينَ … بحسٍّ رقيقٍ وطبْعٍ أرقْ

فعُدْتُ لنفسي بخفَّيْ حُنَيْنٍ … وراحوا بعيدًا وضلّوا الطُرُقْ

وصاروا عبيدًا لأوزارهم … وشادوا قصورَ المنى من وَرَقْ

* شاعر عربي مقيم في الأردن.

فيا نَجْمُ قُلْ لي ألا أوبةٌ — لعهدٍ جميلٍ يُريحُ الحَدَقْ؟!
فقال: أراكَ ظلمْتَ الورى — وجُرْتَ بحكمكَ من غيرِ حقّْ
كذا الناسُ بعضُهُم صالحٌ — وبعضٌ إذا ما تعالى فَسَقْ
وإنّ حياةَ الفتى في انقلابٍ — فحيناً سعيدٌ وحيناً فَرِقْ
وحيناً سليمٌ وحيناً سقيمٌ — وحيناً غنيٌّ وحيناً مَلِقْ
وإنّي أرى تارةً في محاقٍ — وحيناً أُنيرُ دياجي الطرُقْ
وقال: كذا الناسُ في كلّ عصْرٍ — فريقٌ ظلومٌ وبعضٌ مُحِقّْ
وبعضٌ شقيٌّ وبعضٌ تقيٌّ — وبَعضٌ عييٌّ وبعضٌ طَلِقْ
وبعضٌ رفيعٌ وبعضٌ وضيعٌ — وبعضٌ جهولٌ وبعضٌ ذَلِقْ
وإنّي أراكَ اقترفتَ الذُّنوبَ — وأسْرَفْتَ في ذمّ تلك الفِرَقْ
وجاوزْتَ ظنَّكَ في مَنْ عَرَفْتَ — وخالفْتَ عَقْلَكَ في مَنْ تَثِقْ
تقرَّبْ إلى الحقّ من كلّ ذنْبٍ — فما العُمْرُ إلاّ كبرقٍ خَفَقْ
فقلتُ: أيا نجمُ أورثتني — من الغمّ حتّى بلغتُ الغَرَقْ
لقد خابَ ظنّي بما قُلْتَهُ — فما أنْتَ إلاّ كهمٍّ طَرَقْ
فأطرَقَ حيناً وقد غمَّهُ — مقالي وبانَ عليه القَلَقْ
ولاحت على وجهه قطعةٌ — من الحُزْنِ حتى ابتدا يختنقْ
وسافر في صمته برهةً — وسالَ على وجنتيْهِ العَرَقْ
ولمّا تشقّقَ نورُ الصباحِ — وزيّنَهُ عارضٌ مِنْ شَفَقْ
وأقْبَلَ ينشُرُ أنوارَهُ — ويغزو الفضا طبقاً عن طَبَقْ
مضى النجمُ يسحبُ أسْمالَه — وقال: أعوذُ بربّ الفَلَقْ
ومالَ على نارِ قنديلِه — وأسْبَلَ عينَيْهِ حتّى احترقْ



من الاثنين للخميس
دعس على تراب "سلمة"(١)

راجي بطحيش *



الاثنين

ها قد وصلت الى أرض قرية "سلمة" أو كما تسمى الآن طريق شلومو ومن "سلمة" إلى شلومو أنهكني التعب... واستحضار السحرية لأطفئ فيها حرائق الأسئلة وحرقة فقدان كل ما لم تتضح معالمه بعد...

وصلت إلى "سلمة" عند مفرق يحتفل بتشطيه وقفت مع قرار لا رجعة فيه أن أزني أو أثمل حتى النوم أو أن أحب مثلاً كباقي الكائنات المستتر منها والمشتهى... ما اللحظة المعطاة إلا طابور لا ينتهي من من أشتهي الآن... في هذه الزاوية أو تلك ثمة لمعان في عيون هؤلاء الهائمين يجعلني أود لو أستعير زاوية وبرهة عند انعطافة "هرتسل" قرب ناد ليلي مريب... لا يلجه أي عابر... ولا يملك رموزه سوى من فككوا أسرار المكان وصمتوا...

عند انعطافة "هرتسل"... أتخذ لنفسي زاوية متصالحة مع شهوتها هذا المساء... عند انعطافة "هرتسل"... عند مشارف "سلمة"... ثمة أتربة تفقأ عيني... ومخابئ وطاويط تدبّر مكيدة... وقطط لا تخترق الحد البرتقالي الفاصل بين "سلمة" و "فلورنتين(٢)" بل تقف هناك بعيدًا... تلمع عيناها غيرة... وفي فمها عظام الحمقى وفتات بيت كان قد سَئم الانتظار...

يوم الاثنين ليلاً... ها أنا أخترق الدرب المتكسر... نحو الحد البرتقالي الفاصل أدنو بعد أن كنت قد أفرغت رغباتي داخل عيون زرق قاتلة... وبعد أن ارتوت شفتاي من خمور الصدفة...

افتح لي رحم التاريخ أيها الليل...
كي أغفو قليلاً...

الثلاثاء

أنهض... متثاقلاً... أمشي نحو الماء...

---

* قاص وشاعر فلسطيني – الناصرة .

متواطئًا مع حرارته المتكالبة على جسدي المتطلب لربيع أبدي... يداعب ثناياه... أغتسل وأغتسل تترقرق المياه على خاصرتي... وتتحطم عند عتبة حيرتي...

في يساري مطحنة قمح عتيقة وكنيسة لفظت أحشاءها منذ دهر وفي يميني أستاد شهير ومجمعات لحيوات نادمة عبثًا على ما لم تعد تتذكر... وتراقب برتابة زمنها المندثر في الوقت الضائع الذي لا ينتهي أبدًا... في شمالي حياة بوهمية برجوازية... أو كما يقول الفرنسيون (بو بو نسبة الى borgois-boheme) حياة هشة/ عذبة تفتح يدها البيضاء الناعمة حتى أنهي حمامي وأركض إليها نادمًا معتذرًا على إعجابي بجمال الأقواس العربية المهشمة... أو وحدتها...

وفي جنوبي... يافا....

من المقهى الأنيق الذي يحتفي بفتنة أكوابه متدرجًا إلى شارع حوانيت المصممين البديلين. أمشي... إلى مطعم "الجورمية"... المعد لخاصة الخاصة... إلى تلك الجادة المرصعة بزيف القرنفل أو ما شابه ذلك.... إلى الحانة اليسارية المعلقة على منزلق هلال القمر والمزدانة بالأجساد الفتية المتراصة والعيون المتقاتلة حول أرجوحة البرقوق الشاغرة...

من هنا وهناك... من المكان... ومن مكان ما يستجدي مصداقية وجودة... إلى ذلك الجسد الأكيد... وتلاحمنا... وذلك اللسان الذي يلعق حافة أذني ويغادر... إلى أرقه...

ها أنا أعود مرة أخرى.. نحو الحد البرتقالي الفاصل أدنو.... لم أختر ذلك...

صدقني أيها البيت الفلسطيني المهجور في قرية "سلمة"

الأربعاء

انتهى الفيلم السينمائي.... يتسارع الأزواج المرهقون نحو الخارج... يتباطأ المثليون المتأنقون نحو الخارج يشعلون سجائرهم... يفتعلون تحليلاً يغذي وجبة الكابوتشينو الحتمية التي تتلو كل شريط...

نخترق أنا ورفيقي المدينة نحو الجنوب... شارع "كينغ جورج" ثم "اللنبي" ثم "هعلياة"...

ثم "سلمة"... أركن سيارتي قرب شرفة من أقواس وحجر... الخ والخ...

نمر عبر بيت شاهق بقرميد...

يسألني رفيقي الذي نجت أمه في القطار الأخير الذي كان يتجه من بودابست شمالاً نحو "أوشفيتز" عام ١٩٤٥ ....

- ما ذلك الفراغ الدائري في أعلى البيت تحت القرميد...

- إنها فتحة الهواء في أيام القيظ... إنه المكيف على طريقتنا...

- بحق؟؟

- نعم أعتقد أيضًا أن هذه الفتحة كانت تستعمل بهدف تبريد الطعام الطازج مثل اللحوم والأسماك وما شابه... أنظر... هذه بقايا مقهى شهير... أعتقد أنني قرأت عنه...

- نعم...هذا الفيلم يشعرني بالثقل... أتمنى أن أتحرر من وطأته بأسرع وقت ممكن... هل تصدق أن هذا ما كان يحدث في تلك البقعة من العالم... وقبل سنوات قليلة فقط؟؟؟

- لا...طبعًا لا يصدّق

- أشعر بالجوع ... هل تريد أن نشتري "بوريكس(٣)" من المخبز العربي القريب؟

- نعم...بالطبع...إنهم يتقنون صناعتها بمهارة...

داخل الحد البرتقالي نمشي...

يحط عصفور آت من الشام ...لا زال يقظًا ... على كتفي...

نعبر بيتا مهجورًا حفر عند أعلى مدخله

"هذا من فضل ربي ١٩٣٧"

الخميس

أنهض لمرة أخيرة في هذا الجزء...

أغتسل بمياه الخديعة... ثم تختلط لدي كالعميان كل الاتجاهات

كل المناطق تبدو متشابهة... الإشارات الضوئية تؤدي إلى نفس المكان...

أبحث عن قهوة ساخنة في الرصيف الأعرج

وداعا أيتها الحجارة المتماسكة... وتلك الآيلة للسقوط... وأنت يا مفتتة ومتناثرة... ويا مقابر وأنصاف كنائس وأشباه مساجد ...وحمامات الباشا والسيد والغانيات... والمجذوبين والمجذومين... يا نهاية الطريق... وبوابة اللذة المختطفة ذات ليل...

إلى الاثنين القادم وهو منتصبٌ عند حوافك...

"سلمة"

هوامش:

(١) قرية فلسطينية مهجرة تقع بين تل أبيب ويافا من الشرق

(٢) حي بوهيمي جنوب تل أبيب على حدود قرية"سلمة"

(٣) فطائر بلغارية تشتهر في إسرائيل



لقاء عابر



حسن إبراهيم الناصر *

هكذا بلا مقدمات رجل وامرأة كانا يتوغلان في الصمت، ينظران معًا إلى اتجاهات متشابهة، الصدفة وحدها جمعت بينهما على شاطئ البحر، عند نقطة واحدة التقت النظرات –أسبلت جفونها وابتسمت– ابتسم لها، ولم يسعفه الكلام، جلست قريبًا منه، حدّقا باتجاه البحر، ثم نظر كلٌ في وجه الآخر. الريح المسائية تداعب بياض شعره، وهي تُرتّب جدائلها السود فوق بياض جسدها، كانت الشمس تُودّع يومًا شديد الحرارة من شهر آب. تشاغل عنها بجمع الحصى الصغيرة، أمامهما فسحة واسعة للتأمل. كانت الشمس تُشكل خيمة طيف زاهية الألوان تنعكس على البحر. حدّق في عينيها الواسعتين وقد أجهدهما الأرق، أدهشته آثار الحزن على خديها وما شكلته التجاعيد والأسئلة الحائرة. اقترب منها، بأصابعها كانت تحفر في الرمل. ثم راحت تجمع الماء بكفيها لتملأ الحفرة. وحين شعرت بالملل، دفعت ساقيها البرونزيتين تحت الرمل. وهي تجمع بعض أنواع الصدف، التي يقذفها الموج بين ساقيها. كانت الأضواء الملونة تتأرجح على امتداد الشاطئ، قال وهو ينظر إلى البحر: للغروب وقع خاص فينا، يمنحنا وقتًا إضافيًا للتعبير عن أشياء حبيسة في داخلنا. قد نشعر بالخوف حين نبوح بها.

لهذا نُرحّلها كلما عبرت في أحلامنا إلى وقت آخر. لم تكن رأته من قبل لكنها لم تستغرب وجودَه أو حديثه معها.

* قاص سوري له أربع مجموعات قصصية – دمشق.



همهمت: يبدو أننا نواجه الاحتمالات ذاتها، كلانا بحاجة لأحد يكلمه. لقد أعجبت بقامته المديدة، وعينيه اللتين تشبهان زرقة البحر، وابتسامته الدافئة، قالت بتردد: كنت تجلس هناك، وأشارت بإصبعها الذي يشبه الثلج، ما الذي دفعك لتأتي إلى هذا المكان؟ توقفت الكلمات في حلقه، بالحقيقة أنتِ. عفوًا؟ نعم أنتِ. هل تعرفني من قبل؟ لا، مجرد خاطر أو تخيّل. قالت: ولماذا تحمل باقة البنفسج.. هل تنتظر أحدًا؟ لا، هي لكِ. ولكن أنا أحبها وهي في الحقول هناك، وأشارت بيدها إلى السفوح المقابلة للبحر. لا أتمنى لأحد أن يقتل أزهار البنفسج. كي يسجنها في إصّيص.. أو يمنحها لمن يريد. أوقعته في الحيرة، لقد كان يهم أن يقدم لها باقة البنفسج، بدا مرتبكًا لا يدري ما يفعله، بينما راحت تعبث بكل ما بنته من الرمل. وفتحت ثغرة بجدار الحفرة، لتسمح للماء بالعودة إلى البحر. نظرت إلى عينيه، كل شيء يعود إلى أصله. آه.. طبعًا، معك حق. قال ذلك دون أن يفهم ماذا تقصد بكلامها عن عودة الأشياء إلى أصلها. مدّت قدميها إلى الموج لتغسل ساقيها من بقايا الرمل. أتاه صوتها المشبع برائحة الخمر هامسة: الرجل دائمًا يتجاهل حاجته إلى المرأة. في سرّه قال: معها حق. كم هو جميل لو تشاركني لحظات الغروب، لكنها تابعت دون أن تنتظر جوابه: وتغزل على شفتيها كلمات تجعله ينتشي، أنا أعرف أن الرجل يتمنى ويرغب بمن يهتم به ويجعله يشعر بتفوقه. ولكن يمنعه حياؤه أو كما يدعي كبرياؤه. غمغم: يا إلهي هذه المرأة تقرأ ما يجول في خاطري. نهضت عن الرمل كأنها زنبقة، أو وردة جورية، قطرات الماء تجري عابرة نهديها البارزين إلى أسفل قدميها، ودون أن تودعه أو تقول شيئًا، فاجأته بجرأتها، وحديثها الذي ينم عن نضوجها. كان غارقًا في تفاصيل جسدها المكتنز وجدائلها المتروكة على كتفيها العاريين، لم تكن ترتدي أكثر من لباس البحر. قال: النساء كثيرات على الشاطئ، ولكن أنتِ جعلت مني رجلاً خاويًا، يتمنى

أن تسعفه ذاكرته ببعض الكلمات التي تغري المرأة أو التي تجعلها تستجيب لمشاعره. كانت تفيض أنوثة دافقة وهي ترسم على شفتيها ابتسامة عذبة، بينما هو خائر القوة ومشتت الفكر. قال: إن العواطف تُوحّد البشر، أشعر أن مشاعرنا تتقارب، لِمَ الرحيل وقد تآلفنا الحديث. نظرت إليه كأنها تراه لأول مرة، ضحكت، ألا ترى، أنت ترتدي لباسًا رسميًا، وتمشي حافيًا على الرمل، كأنك نسيت نفسك أو نسيت أن ترتدي لباس البحر. وما العجب بذلك يا... أغمضت عينيها بدلع أنثوي، وقالت: ميسا.. أنا ميسا. هزّ رأسه، اسم جميل، لامرأة أكثر جمالاً، وتريدين لرجل مثلي أن يحافظ على اتزانه.. أنا أعشق البحر والجمال هكذا... دون أن تخدشه تلك الصبغة الحديثة. أنظر إلى الناس وكأني بهم يلقون على رأي "عبد الحليم" همومهم إلى الموج، وهم يغوصون تحته. وحين رأيتك أحسست بدافع قوي جعلني أجلس قريبًا منك، معك حق أنت ميسا.. أهداها الغروب كل هذا الجمال.. على الرغم من الحزن المخزون في عينيكِ، لتمنحيه لرجل أتعبته الحياة. همّت أن تمشي، أمسكها من يدها. تمهّلي، أشعر أنني لا أستطيع البقاء وحيدًا. أعيد سؤالي عليكِ هل تقابلنا قبل الآن؟ تركت المدينة منذ مدة، ولكني لم أظن أنني سألتقي برجل يحمل كل هذه الصفات الرقيقة، ولديه كل هذه المشاعر الدافقة من الدفء. أريد أن أسألك لماذا اخترتني من بين الجميع؟ قلت لك من قبل، البحر، والجمال، لا أستطيع مقاومة إغرائهما. وأنت تعومين تحت الموج كعروس البحر في حكايات ألف ليلة وليلة، كأنك لا تريدين الخروج من تحت الماء، أو هناك ما تريدين إخفاءه تحت الموج؟ وفي كل مرة كنتِ تغوصين أشعر أن الوقت يمر ثقيلاً، أحبس أنفاسي وأخاف عليك، أستعد لإنقاذك، وبعد قليل، تخرجين أجمل مما كنت؟ أضحك على نفسي كلما كررتِ الغوص.. أكرر أنا خوفي عليكِ. ثم ينتابني نفس الشعور، وأنت تبنين من الرمل بيتًا، وسريرًا لطفل متخيل. كنت أراقب تبدلِ ملامحكِ مع كل حركة تؤدينها أو شكلاً تبنينه، فتزدادين ألمًا وحزنًا وقلقًا. كانت تسمعه ودقات قلبها تكاد تطير إليه. نظرت حولها وقد تعالى صراخ الأطفال الراكضين خلف كرة الماء، والنساء اللواتي تركن أجسادهن لأشعة الشمس، حتى تلونها باللون البرونزي الجميل، وبعض العائدين من الصيد، وهم يحملون السلال المليئة بالسمك. قالت وهي تنظر في عينيه: من يرسم هذا الغروب؟ ويكتب على جبين الشمس لحظة لوداع آلاف الحكايات المروية، ويؤدي رقصة العشق لجسدينا مع نغمات ألحان المساء. من رسم مواعيدنا وأعارنا للزمن كي نلتقي صدفة؟ قال: أنا بأمس الحاجة إلى امرأة كل شيء فيها يشبهك، رائحة جسدك

الشهية، لون عينيك. وضعت يدها على فمه لا تكمل. أعرف تفاصيل ما تريد قوله. لقد سمعته من رجال كثيرين.. رحلوا ولم يتركوا لي إلا الوجع وجسدًا تنهشه الشهوة إلى عرق رجل لا يرغب بالرحيل. التفت حوله، تيبست الكلمات على شفتيه. قالت: هكذا نلتقي لنكتب على الرمل أسماءنا فيمحوها الموج بعد قليل؟ أنت أيها الرجل، من أين أتيت، لتفتح صدري للريح، والوجع، وتوقظ حكاياتي النائمة. الصمت خيّم في المكان، وبدا وجهها يستريح وتركت جسدها فوق الرمل من جديد، وهي تسمع كلماته العذبة تنساب كماء، أو كندى الصباح في داخلها، لم تشعر من قبل أن للكلمات نغمًا خاصًا، ولم تكن تعرف من الرجال إلا الصوت الصارخ، الغاضب، والأوامر الصارمة، والوجه المتجهم، ولهاث أنفاسهم الكريهة، حين يمارسون العشق مع امرأة صارت زوجة أو خليلة. همهمت: لكن هذا الرجل النحيف الجسم، الحالم، أشعر كأني رأيته من قبل، يبدو لي أنه مختلف عن الآخرين. نظرت إلى وجهه وقالت: إنني حزينة. أخاف أن أفتقدك قبل أن أتعرف عليك. أو أن أظلمك معي، فأنا امرأة مللت انتظار الأحلام، أحببت رجلاً حتى العبادة، ولكنه أرادني امرأة مسلوبة الإرادة، لا يسمح لها حتى بالتعبير عن مشاعرها وهي في حضنه. هجرني مع أول امرأة. حين كشف له الطبيب أنني عاقر، وهو بحاجة لمن يرث كل تلك الأموال التي يملكها. عانيت من الوحدة والهجر كثيرًا، ورحت أنتقم لنفسي مع كل رجل أتعرف عليه. لكنني مللت جلسات الليل، وقصص العشق المتناقلة، صرت جسدًا بلا ذاكرة، مخزونة بكل هذه الأشياء التي أصبحت عندي بلا معنى.. لا يوجد في الحياة ما يغري، لا طفل، ولا رجل. ومع هذا الإحساس الملول، لدي شعور غريب تجاهك، لم آلفه من قبل، تمرّ كلماتك الطرية كنسمة الصباح، ولا أخفي أنك فرصة ذهبية لامرأة فاشلة مثلي، وقبل أن تكمل قاطعها: لو تعلمين كم أنت جميلة، ورقيقة. صوته يحمل إليها صدى الأيام البعيدة، ها هي مرة ثانية، يلقي بها الهوى بين يدي رجل لم تعرفه من قبل، فاجأها به البحر، بلا موعد سابق، نسيت ماضيها وعذابها، وراحت ترسم من جديد وتبني أشكالاً غريبة من الرمل البليل، وتضحك بمرح طفلة صغيرة فكّت جدائلها. وقد تركت أصابعه تعبث وتغوص في طيات شعرها، استيقظت عنده الرغبة المستسلمة لأن يقول لها "أحبك" لكنه لم يستطع، خفض عينيه دون أن يقول شيئًا، استسلمت وتركته يمسح عن خديها بقايا الرمل والحزن وركام الأيام.. لم تكن تريد أن تستيقظ من هذا الحلم المفاجئ. أمسكت يده وراحا يغوصان تحت موجة قادمة من الفرح.



نصّ



أقاصيص امرأة...

صابرين الصباغ*



حوار..!

رفضتُ، صرختُ، تشنجتُ، أجبروني عليه..!!

ذهبتُ إلى بيته، أغلق الباب، سجينة، شُعوري بالاختناق يقتلني، شيءٌ ما ثقيلٌ يجثم على صدري؛ كلما تذكرتُ أني أصبحت ملك يمينه، يستحلُّ أرضي وسمائي، ريفي وبيدائي، رأيته وحشًا، يتفرّسُ في جسدي كالجائع، الذي سينقضُّ على مائدته الخائفة المذعورة..!

خفتُ النظرَ إليه، أرى لُعَابَه يسيل من حواف فمه، ليزيد تقزّزي منه، بلعتُ نفوري، تركت له نفسي على مضض مغتالة مشاعري التي انزوت داخلي باكية.

طلب مني التجرّدَ أمامَه، أغمضتُ عيني حتى يحيطَني الظلامُ فلا يراني، اقتربَ مني، قبّلني، صوتُ أنفاسه كالنعيق تلتف حول عُنقي، تصطكُّ أسناني اعتراضًا، سلّمته نفسي كالذي يتجرع سمًا زعافًا..

عانقني، اقتحمتني رائحتُه كالجيفة الحية.. وبعدها...

جذبني كالشاة، ألقاني بفراش حظيرته الوثيرة، لم أتخيل ما حدث، قيّدني بالحبال، صلبني، أحضر سوطًا، ظل يجلدني بلا رحمة، لم يرحم توسلاتي، لم تردعه صرخاتي، حتى أصابني الإعياء،

* قاصة وصحفية - مصر

بعدها لم أدر بشيء، أفقت.....

وجدتني كمن سجن بمعتقل تعذيب، سجّاني بجواري يخورُ من التعب..!!

ساكن جديد..!

ملامحه تنفجر، تتمزق ، تخلع هذا الطفل القابع داخلها، ليسكنها رجل صغير.

يمرُّ بحالة الانسلاخ هذه وأنا أمرُّ بحالة من الفقدان.

أردت أن أجمع ملامح طفولته الممزقة من فوق أرض عمري، طفولته التي ربيتها على يدي، رويتها بمشاعري، كم عشقتها وهى تنمو فيه مرة وتنمو داخلي ألف ألف مرة.

عشقت رائحة الرجل الجديدة فيه، صوته الأجش الذي يتعثر فوق شرفات طفولته، يريد أن يلقي بنفسه من فوقها تلك الشعيرات التي تُومض فوق شفته العليا كعشب للبلوغ..!

لكن مهما ارتدته تلك الملامح، ظل هذا الطفل ساكنًا أحضاني.

زاد ارتباطه بأصدقائه، إلى أن تيقنت أن الحب بين الأم وابنها يمضي إلى فراق، بنى بيني وبينه سدًا من أسراره الخاصة، بكيت أيامنا الأولى التي كان خلالها يلقي في وعاء أذني حكاياته كلها، كنت أشاركه أفراحه، كنت اليد التي تمسح من فوق خده دموعه البريئة..

احترمت خصوصياته، لكن مهما طال فرعه واشتد جذعه يبقى نبتتي الصغيرة التي غرستها فوق طمى عمري..

نسي يومًا هاتفه، عبثت به لأرى ملامح أصدقائه، صرخت عندما وجدت..

رقصات لها..!؟

لا أدري لماذا اختارتني تلك المهنة من بين باقي المهن.؟

حلمت بهذا العمل حتى صار عشقي، فالحائكة تحلم دومًا بثوب تملكه، بالرغم من أنها تنسج أثوابًا لغيرها.

أشبه أم العروس، عملي يُحتّم عليّ أن أجلس مع العروسين قبل الفرح؛ لتجهيز مراسم حفل الزفاف، أعرض عليهما إمكانياتي، من ألوان (الكوشة) الزهور، شكل الموائد وطريقة تنسيقها، حجم التورتة، المطربون، حاملو المشاعل، كل ما يخص ليلة الزفاف.

لكن دون إرادة مني أتحدّث معه وأهملها كأنها ليست معنا إلى الطاولة.! أسأله فيجيب ويسألني فأجيب، إن تَحَدَّثَتْ لا أسمعها، يحاول أن يجذب وجهها بيننا، أن يلضم حروفها بحديثنا، لكن مشاعري تبعدها لينتهي اللقاء، مع

وعد بأن تصبح أروع ليلة عمر لنا، لهما.

أتمم على كل المراسم كما اتفقنا أنا وهو، انتظر حضوره بشوق عجيب.

تحضر الزفة، صوت الدفوف والزغاريد والصخب يحملني عاليًا، أحلق، أختال، أرقص، أُحيي الضيوف تحية سيدة الليلة ومليكتها، يأخذني بين ذراعيه يراقصني لا أشعر بأحد سوانا، بين يديه يقترب ليقبلني، لأسقط مغشيا عليّ..!

تآكل ملامحي...

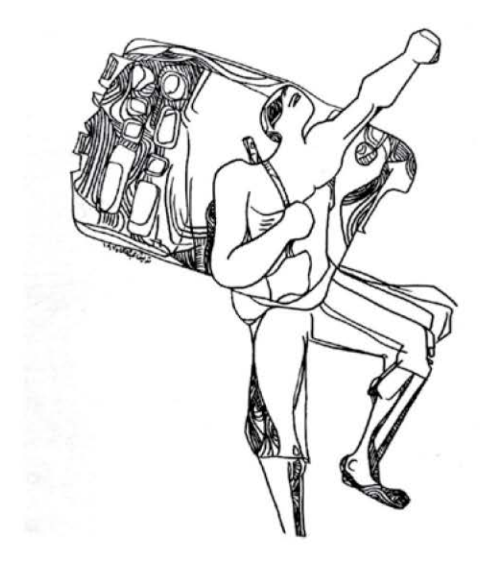
اشتريتها، صلبتها فوق الحائط صامتة مضيئة، لها عينان لاترى بهما إلا عندما أنظر إليها..

أتحدث فتتحدث، أصمت فتصمت، أنظر لها تختال بقمة رونقها وشبابها..

تمر الأيام...

تتصاعد أبخرة المياه الساخنة؛ تبكي مآقيها، ينطفئ رويدًا رويدًا بريقها، يتناثر السواد، يغزو ملامحها..!!

كل يوم يتعرى جزء من سطحها فتشيبُ، عندما أنظر لها أجدها تبتلع جزءًا من ملامحي داخلها، أبحث عن جزئي المفقود، أجده قابعًا داخلي، مطموسًا بمياه تناثرت من أبخرة أيامي الراحلة..



زيارة..!!

ضيف ثقيل غير مرغوب في زيارته، يأتي دومًا مدفوعًا برياح الحزن والصراخ والعويل، شرابه الدموع وزيه السواد..!

يطرق أبوابنا في كل مرة يلتهم جزءًا عزيزًا من لحمنا برحلة ذهاب بلا عودة..!

كأنه عشق زيارتنا، أرى المقاعد تخلو من حولي، كلما خلا مقعدٌ جلس عليه الحزن صامتًا يعذبني بصمته..

امتلأت مائدتي بالإطارات المزينة بشريط أسود، كل مرة أضيف إليها إطارًا جديدًا، حتى نفد عددها، نظرت حولي فلم أجد سواي، أحضرت إطارًا فارغًا، وجلست أنتظر..!!



مكسيم غوركي



عبد الستار ناصر*

مُرّ المذاق، يعني باللغة الروسية (غوركي) وهو الاسم المستعار الذي اختاره (ماكسيموفتش بيشكوف) لنفسه، وقد نسي الناس بمرور الزمان من هو بيشكوف، إذ هبّ على دنيا الكتابة (مكسيم غوركي) بمذاق طيّب وإبداع دام حتى بعد موته منذ ما يزيد على سبعين سنة (مات في حزيران ١٩٣٦ بذات الرئة) لكن الشائعات تقول إن موته كان بفعل فاعل وأن الجناح التروتسكي اليميني في الحزب هو الذي قرر نهايته، وقد تأكد ذلك بعد عامين على رحيله.

الكاتب الكسندر بلوك قال عنه: هو أحد أطهر الرجال وأكثرهم نزاهة وتواضعًا في عالم الكتابة، وقد حمل نعشه كل من ستالين ومولوتوف وجدانوف وأُحرق جثمانه قرب سور الكرملين بجانب عظماء الاتحاد السوفييتي آنذاك، وبكى عليه الملايين من القُرّاء شرقًا وغربًا.

* * *

ساهم غوركي في تحرير أول جريدة بلشفية شرعية هي (الحياة الجديدة) وكان رئيس تحريرها فلاديمير لينين، وكانت كتابات مكسيم غوركي تصبّ في نقد البورجوازية، مما أثار الليبراليين ضده فتآمروا عليه، ولم يجد من طريقة أمامه غير الهروب إلى أميركا، وكان ذلك في عام ١٩٠٦ بعد أن شارك في عصيان مسلح في موسكو، وراحت الشرطة السّرية تبحث عنه في كل مكان، فتمكن من عبور الحدود مع فنلندا ومنها صوب أميركا، في رحلة قاسية ما زالت في ذاكرة الأحفاد.

* قاص وروائي عراقي مقيم في الأردن.

وجاءت شهرة مكسيم غوركي من قصيدة عنوانها "أغنية الباز" كانت أقرب شبهًا بنشيد ثوري، ثم قصصه القصيرة التي ينحاز فيها إلى الفقراء والشغّيلة من شعبه المغلوب على أمره آنذاك، وبعض مقالاته كانت حربًا باردة ضد الحكومة القيصرية التي رأت فيه عدوًا لابد من حجره أو تصفيته لاسيما وأنه لا يُخفي أي جزء من أفكاره ونشاطه السياسي الذي لا يتوقف.

* * *

برغم أن غوركي لا يُنكر على ديستويفسكي عظمة أعماله الروائية، وبخاصة (الأخوة كارامازوف).. لكنه اعترض على قوة اللذة المرضية في تلك الروايات، وقد كتب النُقّاد الروس عن غوركي بأن اعتراضاته على ديستويفسكي ليست غير (تصفية حسابات بين العمالقة).

كتب غوركي رواية (إيجور بوليتشوف) ومن قبلها (حياة كليم سانفين) ومنحته الدولة وسام لينين، وصار أول كاتب بروليتاري في بلاده، يكره كل من يضطهد الإنسان في الداخل أو الخارج، وكان يحارب نمط الحياة المنفلتة في عموم أوروبا الغربية وأميركا، ولهذا ترجموا أعماله إلى الفرنسية والإنكليزية وغيرهما من اللغات لمعرفة هذا العدو الغريب القادم إليهم من وراء الستار الفولاذي، ومن هنا تحققت لمكسيم غوركي شهرة لا حدود لها دون أن يسعى إلى ذلك بنفسه.

* * *

ولد غوركي عام ١٨٦٨ وظهرت أعماله في السنوات العشر الأخيرة من القرن التاسع عشر، وكانت المعارك على أشدّها بين جماعات المصلحين وبين الأدباء، كان الأدب الروسي حينها مزدحمًا بالتركات الإبداعية التي خلّفها تولستوي وتورجنيف وديستويفسكي التي رفعت مذهب الواقعية إلى درجة الكمال.

لكن القارئ الروسي كان يبحث عن مستقبل آخر مختلف عن (الحرب والسلام) وعن (الجريمة والعقاب) وعندما حلّ عليهم مكسيم غوركي برؤية مغايرة في الكتابة، تسنّى لهذا القارئ أن يتمهل في الحكم عليه، وقد كتب تولستوي عن غوركي يقول:

- كل شيء كان خياليًا مصطنعًا، ولكنه ينبع من موهبة هائلة.

لم يعبأ غوركي كثيرًا بما يُكتب أو يُقال عنه، فقد جاء من وسط مختلف غير متعلّم، يحمل في داخله عطشًا عارمًا للمعرفة واحترام الثقافة، جاء بقوة وشراسة دفعت البعض أن يقول فيه:

- يبدو لي أننا أصبحنا نتوق إلى الأحلام والخيالات الجميلة والأشياء غير الاعتيادية.

أجل، لقد جمع مكسيم غوركي الحلم مع الثورة، مع أنه لم يكن ثائرًا حالمًا، بل كان على يقين من قيام الثورة، قريبًا جدًا.

* * *

مرة ثانية يعود الكسندر بلوك للكتابة عن غوركي، فيقول عنه دون تردد، بأنه لا يوجد أديب عبر هذه الأرض الشاسعة التي تهفو إليها القلوب وتلهب فينا الذكريات التي نعرفها باسم روسيا أفضل من مكسيم غوركي.

كان محتشمًا، يبتعد عن الوصف المبتذل للملذّات الجنسية، وكان يكره الفسق والاندفاع وراء المتع الحسية، وفي الوقت نفسه كان غوركي يؤمن بقدسية الزواج وبناء العائلة وإنجاب المزيد من الأطفال مع أنه هو نفسه اكتفى بطفلين، ولد وبنت، ماكسيم وكاتيوشا.

بدأت شهرته في الغرب منذ عام ١٨٩٩، ربما بعد ترجمة مسرحيته الرائعة (بؤساء المجتمع) التي عُرضت في أشهر مسارح أوروبا، وقد أقام ماكس راينهاردت حفلاً مهيبًا لمكسيم غوركي في أول زيارة له إلى برلين، وعندما دخل غوركي إلى قاعة الاحتفال، نهض الجميع وقوفًا تحية له، وكان من بينهم أولاد الإمبراطور غليوم الثاني ووليّ العهد.

* * *

يرى غوركي في الواقعية الرومانسية موقفًا نشيطًا تجاه الحياة وتمجيدًا للعمل، وتعليمًا لإدارة الإنسان، واندفاعًا نحو إقامة أشكال جديدة للحياة مع كره للعالم القديم.

وقد رأى النقاد آنذاك، تخبطًا في تعليقات غوركي، لكنهم سكتوا عن الردّ عليه، ذلك أنه من القلّة التي تأخذ الإنسان منارًا وفكرة وبطلاً ومحورًا في كافة أعماله الروائية، وكذلك في قصائده ومسرحياته ومقالاته.

في إحدى حالات الغضب ضربه جدّه بالسوط إلى أن غاب عن الوعي، وبات طريح الفراش ما يقرب أسبوعين في غرفة صغيرة لها نافذة واحدة وسراج خافت الضوء، وتلك الحادثة كان لها عميق الأثر في حياته وكتاباته، ومنها، كما يقول، بدأ اهتمامه بالناس وقرر أن يقطع دابر الشر أينما وجد طريقًا إليه، برغم أنه لم يغضب من ذاك الجدّ القاسي، حتى تكرر الضرب ثانية مع زوجة عمّه التي ماتت تحت السوط نفسه، وكان ذلك بالنسبة له كارثة الكوارث حتى نهاية حياته.

كتب يقول: لا أدري كيف تنمو الروح الخبيثة في أجساد البشر، وماذا لو انقلبت الحال وصار الإنسان الطيّب هو الذي يضرب الأشرار بالسياط؟ ويعتقد مكسيم غوركي أن المجنون وحده من لا يعرف معنى كلمة الرحمة!

* * *

عانى غوركي في طفولته وشبابه المبكر من فقر مدقع مما منعه من إكمال تعلميه في جامعة (كازان) وكان يقوم بأعمال يدوية شاقة، لئلا يموت جوعًا، كان يذهب في كل صباح إلى أرصفة الموانئ الممتدة على ضفاف نهر الفولغا، يبحث عن أي عمل هناك، واعتاد على رؤية الشيالين والنشالين والسكارى والمتسكعين، وصاروا فيما بعد من أبرز أبطال رواياته.

كان له صديق حميم اسمه (غوري بليتنيف) اكتشف خطورة الحياة التي يعيشها مكسيم غوركي، فاقترح عليه أن يسكن معه في منزله، هناك في قرية فقيرة اسمها (ماروسوفسكا) ستظهر لاحقًا في سيرته وأدبياته، والصديق هذا كان يعمل مُصحّحا في إحدى الصحف ويستلم من النقود ما يكفيه لعيش بسيط مع غوركي حتى تأتي فرصة مكسيم للعمل في وظيفة مُدرّس.

لم يكن في الغرفة سوى سرير واحد للنوم، يستخدمه غوركي في النهار ويُشغله صاحبه ليلاً، وكان مكسيم يقرأ حتى يتهيأ لوظيفته، بينما رائحة الغضب تغطّي أحلامه وهو ينتظر العمل الذي تأخر كثيرًا عليه.

كانت في القرية، مكتبة غنية بالكتب النادرة والممنوعة، تعرّف فيها إلى شخصيات رائعة تؤمن بأن سعادة الشعب هي الأهم، وهذه المكتبة كانت بمثابة هبة من السماء، فقد قرأ فيها، ربما، كل ما كان فيها من أمهات الروايات لعمالقة سبقوه في الكتابة، حتى أنه، وبحسب تعبيره، كان ينتظر الصباح من أجل أن يتأكد بأن المكتبة ما زالت في مكانها ولم تغلقها الحكومة القيصرية إذا ما اكتشفت الكتب الممنوعة فيها.

* * *

ذهب غوركي إلى أميركا كداعية للثورة وإثارة الرأي العام هناك ضد أية محاولة لتقديم قروض مالية إلى الحكومة القيصرية، لذلك عمدت حكومة القيصر إلى تشويه صورة غوركي أمام الشعب الأميركي، ونشر السفير خبرًا في إحدى الصحف جاء فيه أن السيدة (ماريا آندريفا) التي ترافق غوركي ليست زوجته الشرعية، ونجحت الخطة في تشويه سمعته واسمه، وأغلقت الفنادق أبوابها أمام غوركي وماريا، فقد كان الشعب الأميركي آنذاك يؤمن بالتمسك بالأخلاق الطاهرة وبالفضيلة.

وبعد هذا الحادث الموجع، بدأ غوركي يهاجم سياسة أميركا ويسخر منها ويستخف بها، ثم خرج منها ولم يعد إليها قطّ، لكنه، وحتى مماته، استمر في هجومه على نظام الحياة في بلد مثل أميركا، مما دفع بالساسة الأميركان إلى وصفه (بالثائر العنيد الساذج).

* * *

توّج حياته برواية (الأم) وهي دون سواها من أعماله، كان لها فضل انتشاره وشهرته، وإذا ما قيل مكسيم غوركي، ترانا نقول (الأم) وهي وحدها من تُرجمت إلى كافة اللغات، وقد عدّها البلاشفة السوفييت من فقرات الدستور، وكانت تُطبع بكميات كبيرة حتى انهيار تلك القوة العظمى في عام ١٩٨٩.

قطّة

نردين أبو نبعة *

خشخشة في الخارج... أصوات غريبة... همهمات محمومة. مذعورة تقف، تُشعل النور... تدور في أرجاء الفيلا الكبيرة مثل ساعة ضيعت عقاربها ولا تعرف في أي زمان ترسو، تقترب من الباب، تحاول أن تعرف من طبيعة الصوت ماهيته، رائحة لصوص؟.. رائحة جنود الاحتلال؟! لا تدري!!

تلوذ بخزانة ملابسها، تحاول فتحها والاحتماء بها.. وكأنها تهرب من عالمها المخيف.

– ليس سهلاً على امرأة في مثل سني أن تعيش وحيدة لا أولاد ولا زوج، لكن لا يهم، لا شيء ينقصني... فيلا كبيرة، أموال كثيرة، أوقات مكتظة بالعمل والمواعيد... تجهش بالبكاء، وليل أسود صامت يصلبني بشيء من الانتقام تحت أسياخ الصقيع. آه لو عندي ولد... حتى لو كان مجنوناً... كان على الأقل سيُكسب حياتي دفء شمس لم أشعر بها يومًا، كان يمكن أن يجعل أنفاسي ترتعش في أضلاعي ألقًا، ترقص بشموخ ولذة، كان سيمنح عمري وقارًا وتفاصيل كثيرة تشبع أيامي المقفرة.

تدفن رأسها بين ركبتيها: "أتمنى لو أدفن رأسي في صدره..." تدفن حيرتها وندمها... "إذا التقيت به سأتزوجه، لن أُراوغ وأتدلل". تنتحب بصمت... وهي لا تدري هل تنتحب خوفًا.. أم حسرة!!

– كم كنت غبية حينما كانت أمي تُطفئ أنواري، تطرد خُطّابي، وأبقى كعصفور وقع في فخ يتخبط، يظن أن جناحيه قد فُقدا مع أنهما ما زالا يرفان، ها أنا أتقاضى ثمن غبائي وصمتي

* من الأقلام الجديدة في مجال القصة – الأردن.

ضربات سكين في ليلي الطويل، كانت أمي تصك وجهها عندما يأتي عريس متواضع الحال... وترى ذلك إهانة لها ولعائلتنا العريقة، ترفضه... وعندما يأتي عريس بمواصفات أمي ولا يملك غيمة، تشبه غيمتي.. ثقافة وعلمًا.. أرفض.. لم يكن يهمني الأمر... فأنا جميلة وغنية... وأحمل شهادة عليا... لكنه... أتى وأتى باكرًا... وأمي رفضته... وما زال صوته يلامس مسمعي... وظلت أمي ترفض حتى زحفت التجاعيد على وجهي ومرَّ الخُطّاب على محطتي، لكنهم لم يعودوا يلتفتون إلى قطاري الذي قطع مسافات طويلة!!

تبتعد عن الخزانة، فهي تعرف أن الخزانة لن تحميها، لا تستطيع أن تخدع نفسها أكثر من ذلك. ما تحتاجه في وقت كهذا ليس الخزانة، وإنما... أنفاسُ رجل... وكتفُ رجل... تحتمي به وتتكئ عليه!!

تقف أمام المرآة.. تتمرد على خوفها... وعلى الصوت المخيف في الخارج... تتأمل نفسها... خطوط حمراء دقيقة رُسمت بدقة متناهية حول عينيها الخضراوين... وخطوط أخرى حول فمها... تتحسس جسدها الذي يتصبب عرقًا... رائحة أنين تفوح من مسامات جسدها المتعب الخائف.

حولها يجتمعون، هو يقف فوق رأسها، طفلان عن الميمنة، وطفلان عن ميسرة الصورة، وصغير وليد على حضنها، رائعة ستبدو لو كانوا حولها، قوية وباهرة لو كان يضع يده على كتفها بحنان.

تنفض رأسها... خصلات شعرها ترتطم بالمرآة... تصرخ: ما أقسى هذه المرآة... إنها تسخر مني... تعبث بضعفي وخيبتي.

تتململ أمام المرآة... تعجب لرؤية صديقتها منى التي لم ترها منذ أعوام كثيرة، عانقتها بلهفة:

– ياالله ... منذ متى لم أرك يا منى!!

منى الصديقة المتعبة المرهقة من طلبات الزوج والأطفال، منى التي كنت أُعايرها بسواد يلفُّ عينيها وشحوب في وجهها... الآنً يلتمع في عينيها بريق عزٍّ وفخر واطمئنان محاطةٍ بإكليل من شابين.

– من هؤلاء

– أبنائي...

الإكليل يلتف حول عنقها... يخنقها... صوت الخشخشة ما زال يكبر ويكبر كفقاعة هواء ينفخها ذُعرها. تحاول أن تتجاهل صوت الأقدام في الخارج، تفتح خزانتها، تقع صورة والدتها في يدها... تنظر بوقار وكبرياء.

أخذت تضحك بصوت عالٍ، تبادلا النظرات بانكسار:

– سامحيني يا ابنتي... لقد ظلمتك

تمسح دمعتها، تسقط بقايا الدمعة على الصورة فتختلط بقايا الدمعة بملامح الأم. ترتفع الأصوات حولها.

صوت طفلها البكر يُؤنّب الصغير... وتلك تصرخ في المطبخ لا تستطيع الوصول إلى الرف العلوي في الثلاجة لتناول الماء... وزوجها في غرفة النوم يصرخ غاضبًا مطالبًا إياها بمشاركته في البحث عن الزوج الآخر للحذاء.

رمقت والدتها باستغراب!! لفّت جذعها بتحد وبصوت كله زهو:

ألا تسمعين ضجيج الأطفال حولي يا أمي

دارت في الغرفة فرحًا، ألقت بنفسها على السرير بطرب، فصفعتها برودته.

تضيق أنفاسها، تقترب من النافذة، ترفع الستارة بيد لتعرف مصدر الصوت المخيف، وباليد الأخرى تحمل سكينًا. وبصوتها المبحوح... الذي يشبه أزيز سيارة هرمة:

يا لك من قطة...!!! كيف استطعت أن تُحدثي كل هذه الضجة من غير أن أفطن لك!

لحظتها انتبهت، أن مجرد قطة، كافية لتعبث بذكرياتها. قطة أمسكت بفرشاة أحلامها... وأخذت ترسم كل ما مضى... قطة جعلتها تعي قدرها... وتعترف بسواد ليلها!!!

مختارات

أناتول فرانس

يعدُّ أناتول فرانس واحدًا من كبار كتّاب فرنسا ومفكّريها، ولد عام ١٨٤٤م وتوفي عام ١٩٢٤م. وكان عضوًا في المجمع العلمي الفرنسي لأكثر من ٣٠ عامًا، وقد نال جائزة نوبل للآداب سنة ١٩٢٢. وكان إنساني النظرة، يكره التعصب مهما كانت صبغته ونوعه، ويدعو للتسامح.

وكان يكره رجال السياسة والدين لتلاعبهم ومخادعتهم وتضليلهم، ولأرباب الأموال لكبريائهم وحماقتهم، ورجال الجيش لغطرستهم، ولم يكن يميل إلا إلى رجال الآداب والفنون لاعتقاده أنهم خدم الإنسانية الحقيقيون. وكان معروفًا بعطفه على البائسين، وقد تبرع بقيمة جائزة نوبل التي حصل عليها إلى منكوبي روسيا تلك السنة.

من مؤلفاته الروائية "الآلهة عطشى" و "حديقة أبيقور" و "جزيرة البطاريق" و "الحياء" وغيرها.



قصة



أبو أحمد بلال

أحمد أبو حليوة *

استيقظ قبيل آذان الفجر، خرج من باب الغرفة، وعند الدرجات الأولى من السلم المؤدي إلى سطح البيت جلس.

سبعة عقود مضت من العمر، بدأت في بئر السبع، سكن بيت شعر، وبعد سنوات تحوّل بيت الشَّعْر إلى خيمة للاجئين، ومن ثَمَّ (بارّاكية) في مخيم العرّوب بالخليل.

تذكر والده عندما أخذه إلى المسجد الأقصى وقبة الصخرة أول مرة، حينها قال له بيقين: هذه هي القدس عاصمة بلدنا فلسطين.

مات والده وهو في المرحلة الإعدادية، فدفعه هذا إلى ترك المدرسة رغم اجتهاده.. مسؤوليته كبيرة، إذ توجب عليه أن يؤمّن قوته وقوت أمه وأخواته الثلاث بعد نكبتين: نكبة ضياع فلسطين، ونكبة وفاة والده.

لاحت أمام عينيه قضبان السجن الذي سُجن فيه قبل عقود بتهمة توزيع منشورات للحزب الشيوعي.

بعد تلك الحادثة بحث عن عمل، ثم انضم ككثير من الشباب إلى الجيش العربي الأردني.

اجتاحه الحنين إلى رفاقه، وتذكر زملاءه في الجيش، بعضهم غادر الأردن مثله .. بعضهم بقي فيه، والبعض الآخر غادر الحياة.

وداعًا يا عمان .. وداعًا يا مخيم البقعة .. وداعًا يا جرش!

* قاص من الجيل الجديد – الأردن.

دمشق .. أقدم عواصم الأرض .. يذكر اللحظات الأولى فيها حين قال له أحدهم:

- هذه هي عاصمة الأمويين ومدينة الياسمين.

مخيم اليرموك يستقبله شابًا مدججًا بالثورة .. الثورة التي كبرت في لبنان. يقفز إلى ذاكرته حصار بيروت، وصمود الفلسطينيين الأسطوري فيها إبان الاجتياح الإسرائيلي الكبير لها، يبتسم، ثم يحزن نازفًا زفرة طويلة ومتمتمًا:

- آه يا صبرا وشاتيلا.

يتجهم وجهه حين يتذكر السفينة الفرنسية التي أقلّته وأقلّت معه آلاف المقاتلين إلى ميناء تونس.. أقلّتهم وأقلّت معهم طموحات النضال وآمال الحرية، بعيدًا عن خط المواجهة، وقريبًا من عرض البحر.

بعد ثلاث سنوات عاد إلى الشام التي وعدت بالكثير، ولم يتحقق منه إلا النزر اليسير.

لعبة كبيرة هي الحياة!!!

هكذا قال له صديقه الذي استشهد في زمن مجهول ومكان مجهول ولسبب



مجهول، وعُلقت صوره على جدران مخيم اليرموك التي تعج بالصور، وقيل إن الفلسطينيين عندما يُحررون أرضهم - كلّ أرضهم- سيقيمون نصبًا تذكاريًا في القدس لهذا الرجل، يطلقون عليه نصب الجندي المجهول.

بقي أبو أحمد بلال عشرين عامًا غريبًا هناك، وقبل يومين قرر أن يزور مع زوجته صديقًا عرفه مصادفة، ووعده بزيارة قريته (موحسن) في دير الزور، وهناك، غريبًا حتى عن غربته، استيقظت زوجته صباحًا، خرجت من باب الغرفة، وعند الدرجات الأولى من السلم المؤدي إلى سطح البيت، وجدته جالسًا مستندًا إلى الحائط، مُفتقدًا وطنه كعادته.. فاقدًا حياته للمرة الأولى والأخيرة.



نصّ

رومانسية النقص

فداء إسماعيل العايدي *

الشعر..

إذ يُحاصرُ في حماي،

يُكبّل

فتزيده القيود

ثقلاً !

*   *   *

ألم يكن أفضل

لو ما فكرت يومًا

بمجاوزة

رائحة نعناع بيت جدي

أو حنان الليل في حارة بيت عمي

إذ إن عقلي

ما إن عاد بروائح أخرى

وزار ليالٍ وحوارٍ

حتى علم؛

أن من ليس معنا

فضدنا !

*   *   *

أما الكذب

فلطالما كان كثيرًا؛

* من الأقلام الجديدة في مجال النقد والإبداع – الأردن .

لكن الكمية

ما حالت دون الجودة العالية!

*   *   *

لو كان لقاؤنا على ما سوى الدنيا

لما كنا مرغمين

أن نتيقن

بينما نحن في غمرة الحب

أن ما بيننا وبين حزن ما

آتٍ في وقتٍ ما

إنما هو فترة انتظار .

*   *   *

في البحر...

أجهل نيّة الموجة القادمة

*   *   *

الموسيقى

حين تمتطي بطولة الحزن ،

ليس أكرم منها

في رفدِ جوِ حدادٍ ما يزال في مهده

يُغافل النسيان

فينتصرُ عليه حينا

يزورُ فيه الماضي والحنين ،

حينٌ قصير أو طويل

لكنه عائد للهزيمة لا محالة.

سيما أن النسيان حكيم مُسنّ .

*   *   *

أأغاثني النظم،

لأرثي قصر اليد

أم لأدرك رومانسية الفقد ؟

*   *   *

روح أُرهقت اغتصابا

حتى لقد..

حصل الشعر

وذاك هو الآخر

يختنق

من لا سوى طريقين في الجو

فماذا يكون الوليد ؟

تجريب .. تجريب ..

*   *   *







حنين نعيم داود *

أرضٌ مهجرة

لونٌ غريبٌ يعتري مرحليتي الملفتة هذه، تَفَتُّحٌ لا بأس به

ولا بأس بأن يكون التمرد أبعد، ولا بأس بالهدوء كذا

ولن أقول شيئًا، ولكن لأصولية تتأرجح بين الصفات،

جدي أرضًا لتجلّي الذات ولا وقت للمزيد من الترهات

ومصطلحي المعتاد أرضٌ مُهجرة، تشبهني في حلّتها

فلا هي معولمة ولا هي أصوليةٌ ولا هي حيادية، فهي أقرب إلى المنفى

المنفى بالنسبة لي إيجابيٌ بذلك الفكر

المرتبك المطعّم برائحة الميرامية

وأما هنا أرض مهجرةٌ كذلك، أرضٌ مهجرةٌ غيرُ معرّفةٌ

انعدام هامشٍ فكريٍ في مكان يفتقد حسَّ الهوية،

وأما هنا حياةٌ تفتقر إلى كل شيء، إلى صوت الزمان وصخبه، إلى

حزنٍ يشبه التصوف في أدائه، إلى فرحٍ أقربَ إلى الهلوسة

يفتقر هذا المكان إلى كلِّ شيء، ويُفقدني هذا المكان صوابي

يأخذني إلى حيث ما يريد هو بدبلوماسية،

* من الأقلام الجديدة - طالبة طب - الأردن

وبعدها أُحسُّ بضعف الفكر الوحيد،
وبعدها أُحسُّ بالتوحّد وهجوم التبنّي

وبعدها أُحسُّ باللاشيء يغتال وجوديتي
القابلة للتموج، التداخل، الإضافة

وتعبت من عدم استقرار وجوديتي، وتعبت
من روحي ومن عدمي، وتعبت من

اللاوجهة واللافكرة، ولم يعد التمرد
هاجسي، ولم أعدْ أنا هاجسي

وأضحت الظلمةُ هاجسي، هاجسي لا
متعتي، بل خدري

إذا أردت أن تصبح سمةً من سمات هذا المكان،
اصنع علمًا خاصًا بك

علمًا يخلو من الرموز والتفكير، علمًا
بديهيًا

يضفي عليك الكثير من البساطة الفكرية
عنوةً ستعكر صفوك ربما

لتبتسم بعدها وتقول: ماذا كنتُ أفعلُ قبلَ
هذا العلم؟... وبعدها...

ستصرخ: أعدني إلى حيث كنت البارحة ولا
وقت للمزيد

أريد أن أرى لي وجهًا واحدًا كلّ يوم، أقصد
وجهًا واحدًا في كل الأيام

مللتُ عينيّ المزاجيتين وأحنُّ لأصل الرؤى،

أرضٌ مهجّرةٌ كذلك

وما زال هناك وقتٌ للانتظار في محطة
الباص...

لا أدري لماذا لمثلي أنْ يحسَّ هكذا؟؟؟

ولكن هذا القلب القمري مريضٌ بداء الأمل،
"الأملُ داءٌ" أؤمن بذلك

وأحب انفصال قناعاتي عمَّا أحسُّ، وأحبُّ
جنوني...

جنوني شيء يشبه الخصوصية،

وإحساس مائيٌ لا يتماشى مع شيء من زوايا
الغرفة،

جنوني، بوهيميةٌ، تجردٌ من المكان
وقيثارتان؛

قيثارةٌ تتمسك بالتسميات والأصولية
(كلاسيكيتها)

وأخرى تحاول أن تهزَّ العالم بشيء يشبه
الروك،

وبعدها فلأنتظر كما خُلِقت لأفعلَ سربًا من
الأغنيات

سربًا من الأغنيات، تكفي لتجعلني بلا دور
في موسيقاها الكونية

القبر

إبراهيم خليل*

عاد محمولاً على الأكتاف، ملفوفًا في كفن، عاد وعادت معه كل الأحلام والآمال التي نسج بها خيوط بساطه الطائر إلى تلك البلاد البعيدة مسافة والقريبة طموحًا، حيث لا مكان لمفردات مثل (الواسطة والمحسوبية) في قاموس حياتهم.

كان شابًا طموحًا للغاية، بذل جهدًا مضاعفًا، وحصل على معدل متفوق من أجل المنحة الدراسية، إلا أن الأمر احتاج لأكثر من ذلك بكثير !! لم يستسلم، أخذ يطرق جميع الأبواب ليحصل على وظيفة مناسبة تمكنه من إكمال تعليمه.

مرة أخرى.. الحسابات لم تكن دقيقة.

أتقن مهنة واحدة رغم كرهه لها ـ مهنة أبيه ـ لم يحتمل البقاء في العمل، فأحلامه تدفن في كل قبر يحفره، وكثيرًا ما تساءل:

– كيف لمثل هذا القبر أن يتسع لأحلام صاحبه؟؟؟ يا لها من معادلة صعبة!!!.

أدرك حين ذاك أنه لن يحقق طموحه إلا من خلال السفر إلى تلك البلاد البعيدة، التي وجد من غامر بالذهاب إليها، المكان المناسب لتحقيق آماله وطموحاته

* قاص من الجيل الجديد – الأردن.

أخذ يعدّ العدة للسفر، حصل على (فيزا) عمل، وعندما اقترب موعد سفره، كشف عن نيته لأبيه.

قال دون مقدمات:

- سأسافر يا أبي، لم أعد أحتمل البقاء هنا !!

ارتعشت روح الأب المسكين، وتسارعت نبضات قلبه، ثم نظر إلى ابنه يسأله:

- إلى أين يا ولدي ؟!

لمعت عينا ابنه الشاب و هو يجيب:

- إلى حيث يجد الإنسان قيمة لحياته.

لم تكن لديه رغبة في إطالة النقاش.. قال منهيًا :

- لقد اتخذت قراري يا أبي، وأرجو أن تمنحني بركة موافقتك.

حبه الشديد لولده أجبره على موافقته على قراره.. رسم ابتسامة على وجهه أخفت حزنه العميق، ثم ربت على كتف ابنه وقال:

- امضِ على بركة الله يا بُنيّ، وأسأل الله أن تحقق ما تصبو إليه.



في قاعة الانتظار تحامل الأب الحزين على نفسه، ووقف على قدميه، كانت ساقاه ترتجفان كأغصان شجرة لم تبلغ الحلم وهو يستقبل جثمان ولده.

شعر بأنّ لسانه أصبح ثقيلاً، وغطّت غمامة شتوية ضوء عينيه.. تسارعت أنفاسه.

فيما كانت عيناه شاخصتين نحو الأعلى تحلقان في الفضاء البعيد، أحسّ أن السماء تقترب وتقترب وتقترب... تهاوت نجوم كثيرة... أظلم المكان... وساد سكون تام.





لنا بضمير الغائب



حسام علي الإبراهيم*

لنا في غابات التمرد أشباح

تدنو من رحابة الحلم

لنا أن نكون مُتْرفين

بعناصر التيه وأشلاء العتم

لنا أجنحة الرهبة وأقاويل الرياح

نُبارح أوجاع الأوسمة الفاتنة

مثل لقاءٍ أبدي تحرسه أغاني الأمهات

تَصليه أوتار الصمت

كأنه اللقاء...

وكأنه لنا...

تعويذةٌ للحياة

خبزٌ لغدٍ ماطر

تكتظ به المرايا

وكأننا حكايتها الأشد رباطًا

تقصّها نصالٌ حادةٌ كالرحيل

كأننا خاتمة النهر مُكبّلين ببوحنا

ومنذورين لذاكرة الطين؛

إذ يخلع عن كاهله جذور النرجس

ورائحة التين... ويغيب

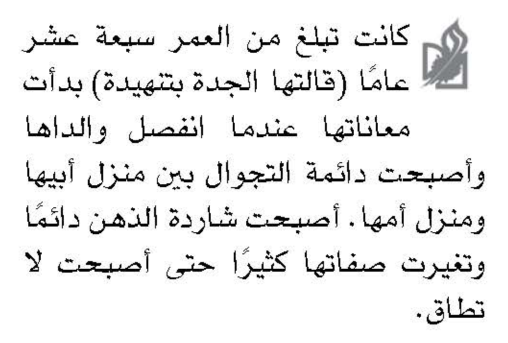
* شاعر وكاتب درامي من الجيل الجديد - الأردن.



قصة

كان يا ما كان

شهد عادل الطراونة *



كانت تبلغ من العمر سبعة عشر عامًا (قالتها الجدة بتنهيدة) بدأت معاناتها عندما انفصل والداها وأصبحت دائمة التجوال بين منزل أبيها ومنزل أمها. أصبحت شاردة الذهن دائمًا وتغيرت صفاتها كثيرًا حتى أصبحت لا تطاق.

فاجأتها المعلمة في المدرسة بسؤال، وقفت مجبرة نفسها على الوقوف، بحلقت في السقف... شعرت أن أفكارها تتطاير وأن الكلام يتلعثم في فمها وتتناثر أحرفه.

دام صمتها، ضحكت الطالبات، وأخذن بالتهامس مستهزءات بها. جلست على مقعدها، وشعرت أن دوامة قد ابتلعتها، وأنها غرقت في بحر من الخجل، كيف لا وهي لم تعتد في يوم من الأيام أن تُسأل سؤالاً ولا تُجيب عنه، بقيت طوال دروس ذلك اليوم مكتئبة، حزينة حتى انتهى الدوام.

سارت طويلاً عائدة إلى منزل جدتها، كانت شاردة الذهن، مبعثرة الأفكار... وصلت المنزل فقبّلت جدَّتها واتجهت لغرفتها، رمت حقيبتها على الأرض وبدّلت ملابسها واستلقت على السرير. تنهدت وأغمضت عينيها وغرقت في سبات عميق.

حلمت بأنها وحدها في هذا العالم تسير وتسير في شارع طويل يخلو من المارة، رأت والديها في نهاية ذلك الشارع،

* من الأقلام الجديدة - طالبة ثانوي - مدرسة اليوبيل - عمان - الأردن.

توقفت ولوّحت لهما.. جرت مسرعة نحوهما، لكنهما كانا يبتعدان كلما اقتربت حتى اختفيا.. عندها رمت نفسها على الأرض وأجهشت بالبكاء.

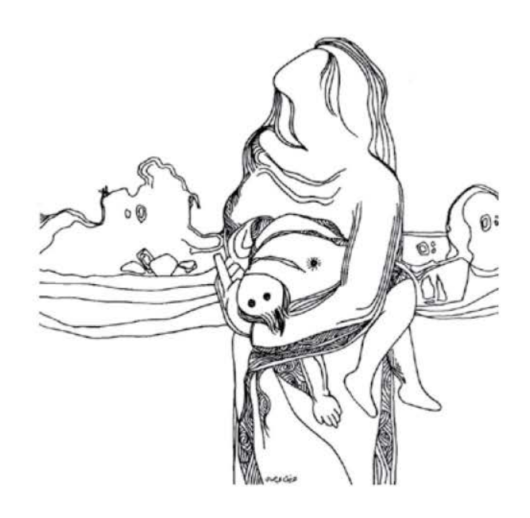
استيقظت والدموع على وجنتيها، مسحت دموعها واتجهت إلى المطبخ.. تناولت غداءها الذي برد، وأخبرت جدتها عن الحلم.. نظرت إليها جدتها بعطف وحنان ثم ضمتها بقوة، مانعة دموعها من السقوط من عينيها الهرمتين.

لا تحزني يا ابنتي.. إن الله لا ينسى عباده.. قالت الجدة بحزن.

أبعدت رأسها عن كتف جدتها وصرخت: إلى متى؟ لقد كنا عائلة والآن نحن كالغرباء... آه لو أني أموت وأرتاح من هذا كله!! أسرعت نحو الباب وخرجت من المنزل وأغلقت الباب خلفها بقوة.

سارت حتى بلغت بيت صديقتها هند من دون أن تشعر.. طرقت الباب فخرج والد هند... مرحبًا يا سارة، ما أخبارك؟ أجابت متظاهرة بالفرح: بخير والحمد لله. خرجت هند عندما سمعت صوتها ورحّبت بها وأدخلتها المنزل...

جلستا في غرفة الضيوف، كانت سارة منهكة، ليس من المشي بل مما يحمله



قلبها الحزين من هموم.. شعرت هند بألمها، فقالت: أخبريني بما يزعجك يا صديقتي.

نظرت إليها سارة بابتسامة مزيفة رسمتها على شفتيها: لا شيء، لقد أتيت لأطمئن عليك، فأنت لم تأت إلى المدرسة اليوم.

أجابت هند: آه.. لقد كنت منشغلة اليوم مع والديّ بترتيب المنزل، فنحن كما ترين، نستعد للرحيل.

نظرت سارة إلى المنزل، فرأت كراتين وحقائب.

قالت معتذرة: آه... يالحماقتي لم أنتبه لذلك.. حسنًا إذن من الأفضل أن أذهب..

أراك غدًا، وخرجت من المنزل..

تابعت سيرها.. تذكّرت حلمها.. ابتسمت ابتسامة مرهقة وقررت الرجوع إلى البيت. اتجهت عائدة.. سارت كالضائعة حتى وصلت البيت.. دخلت إلى غرفتها مباشرة ولم تُقَبّل جدتها كالعادة.

جلست في زاوية من الغرفة، تتابعت الأفكار في عقلها حتى أنهكتها... غلبها النعاس ونامت... كان النوم صديقها الوحيد في تلك الفترة من حياتها.

حلمت هذه المرة برجل غريب لم تره في حياتها.. يرتدي ثيابًا بيضاء ويحمل والديها في كفه...

أهما سبب يأسك وألمك؟! قال بصوت خافت...

وما دخلك أنت؟ أجابت بعصبية..

ابتسم الرجل وقال: أنا مبعوث إليك لأريحك من حزنك.

قالت مستهزئة: وهل أنت دواء منوم؟!

قال: ألم تتمني الموت لترتاحي؟

أهو كالمنوم؟ قالت بخوف يصاحبه الفضول..

أجابها: نعم.. لكنه يدوم للأبد.

جثت على ركبتيها وقالت" إذن أرحني...

استيقظي.. لقد تأخرت عن المدرسة، إنها الثامنة صباحًا! قالت الجدة وهي تسير نحو النافذة لتفتح الستائر.

آه.. يا لك من كسولة، هيا استيقظي... أردفت الجدّة ثم اقتربت منها وقبّلتها.

وجنتاك باردتان! أشعرت بالبرد أمس؟

انتظرت الجدة لكن بلا جدوى..

صرخت ولطمت وجهها: سارة.. يا سارة! استيقظي لأجل جدتك.. لا تتركي الجدة وحدها.. وأجهشت بالبكاء...

نعم.. ماتت.. تاركة وراءها جدتها العزيزة ووالديها اللّذيْن خيّبا ظنها.. واتجهت إلى مكان لا يعلم به إلا الله...

نظر الأطفال إلى جدتهم التي أغمضت عينيها وقالوا: أنت هند صديقة سارة؟!

لم تستطع الجدة أن تُجيب... ارتكزت على عصاها، وذهبت إلى غرفتها مانعة نفسها من البكاء...





نصّ

حلم محموم



علي العلوي *

يأسرني الحزنُ هناكْ

يأسرني أسرًا

يأسرني قسرًا

يأسرني وسط الأشواكْ

* * *

لا شيء هنا يذْكُرني عند طلوع الشمسْ

لا شيء يذَكِّرني بمروج الهمسْ

وحدي أدخل لحدي

وأُجدد أسرار الأمسْ

* * *

مالي وسيول الدمع دوالٍ

أصحابي رحلوا كالماءْ

مالي وشموس النبع ليالٍ

أصحابي راحوا في قبضة ذاك الداءْ

ويحي .. ضُميني يا روحُ كما عصفورٍ

هاجر من مملكة الوردْ

ضُمّيني كالعين على ناصية البردْ

فمن ارتحلوا .. ساحوا في بحر الأزمانْ

وأنا باقٍ أتوسّد حزني

وأُفتش عن حلمٍ بين الأوطانْ

* من الأقلام الجديدة في مجال الشعر – المغرب



نصّ

أنت ذاتي



دعد الشريف*

سيدي...

أطفئ جميل القناديل

ولتكن روحك قنديل حياتي

في ليلي قمر ضوءه يخترق نوافذ صمتي

ولنهاري شمسٌ أنسج من نورها

أجمل حكاياتي

نورٌ ليس كمثله نور... سكن الوجدان

وتغلغل بين الضلوع إلى أعماق ذاتي

فأنت ذاتي

سيدي

كنت أنا من وقفت هناك

أُحدّق في البعيد

أسافر نحو المجهول

أهيم بروحي عبر أفق سرمدي

بلا ملامح

أُمعن النظر لعلّي أجد ضالتي

على أعتاب كثيرة وقفت

ولكني لم أطرق بابًا

---

* من الأقلام الجديدة - طالبة في الصف العاشر - الأردن.



حتى كنت أنت

لتمتد يدي... فأطرق بابك

بلا خوف... بلا وجل

لتفتح روحك أبوابها لروحي

فأسكنها

سيدي

لعلها صدفة...؟!

لا.. ليست صدفة

إنهُ القدر

فبحور الشوق حملت معها الكثير

ولا زالت تجود بالأكثر... وتعد باللامتناهي

سيدي

أوراقي بلا ترتيب... بل هي مبعثرة

أحبها هكذا مبعثرة

لكني دومًا أحملها بروحي

كروحي

كنت فيها كلمة... فأصبحت بعضها

ثم ضممتها لقلبك لتصبح واحدة

أنت لها عنوان

سيدي...

لن ينتظر نرجسي أكثر... فموسمهُ قد حان

يبرعم... يُزهر

كأنفاس نيسان





هموم صغيرة



سناء دبابنة *

مع تباشير الصباح الأولى، وبعد صياح الديك نهضت (غالية) مبتسمة لخيوط الشمس الذهبية، التي بدأت أشعتها مغازلة ستائر النوافذ.

وكعادتها كل يوم غادرت فراشها، مسبحة، مهللة، تسأل الله أن يعطيها خير هذا اليوم، وبحركة شبه آلية أعدت إفطار الصباح، وأخذت توقظ أطفالها، وكسلحفاة عجوزٍ تململ الصغار في فراشهم، ارتفعً صوتٌ غالية: هيا لا تتأخروا.

وبعد جهد جهيد تمكنت من إيصالهم لحافلة المدرسة، فودعتهم داعية لهم بالسلامة، ثم عادت أدراجها إلى المنزل، وبدأت تلملم ما تبعثر من ثياب صغيرة هنا وهناك، ثم استلقت على كرسي خشبي من الخيزران يقع في زاوية الحجرة مضى على وجوده في ذلك المكان زمن طويل... هو مثلها تمامًا.

(غالية) هذه المرأة التي نسيت منذ زمن أنها امرأة، أو كائن اجتماعي، يحتاج كغيره من البشر لشيءٍ من الصداقات أو النزهات مما يرفه عنً النفس ويجدد الأمل...

تحسست خصلات شعرها المبعثر على كتفيها محاولة دون جدوى تذكّر آخر مرة زارت فيها صالون التجميل، قد يكون يوم

* من الأقلام الجديدة في مجال القصة القصيرة – الأردن.

عرسها، أو بعد ذلك بقليل.

لم تدرِ كم مرّ من الوقت دون أن تتوقفَ أمام واجهات المحلات لتختار ثوبًا، أو حتى كتابًا، فآخر كتاب حاولت قراءته، حوَّله طفلها الصغير لطائرات ورقية.

كم حلمت بالسفر، لأي مكان، دونما تحديد.

أما الآن وبعد سنوات عشر، افتقدت حتى القدرة على الحلم، أصبح قاموس حياتها يفتقر لمصطلحات: معرض أو مسرح أو ندوة.



انتبهت من أفكارها، بعد أن تذكّرت موعد العمل، وبلمح البصر غادرت المنزل لتبدأ جولة جديدة من البحث عن سيارة تنقلها إلى مكان عملها. تخيلت بشيء من الفزع عيني مديرها ترمقانها كنسر يطارد فريسته، ولحسن حظها أنقذها انشغاله بمكالمة هاتفية أنسته أمرها. أسندت ظهرها المجهد على مقعد مكتبها المكسور منذ زمن والذي لم تفكّر يومًا بإصلاحه، وأطلقت لساقيها المتعبتين العنان. استرخت ثم أغمضت عينيها قليلاً قبل اشتداد وطيس المعركة وازدحام المكتب بالمراجعين وبدءِ شوط ثالث أو ربما رابع وخامس من مباراتها اليومية مع الحياة، فهي مباراة غير محدودة الأشواط، وهي الخاسرة فيها دائمًا.

لماذا: سؤال طرحته غالية على نفسها؟

هل هو روتين الحياة اليومية الذي يسرق بريق أعيننا فيخبو الأمل فينا، وتتحول إشراقة المستقبل لقلق مادي ومعنوي... أم هي هموم صغيرة نُحولّها إلى كبيرة فتصبح محور حياتنا؟ وقبل أن تستمع للجواب فتحت عينيها مشدوهة على صوت مديرها(النسر) فقد أنهى مكالمته وعاد يطرح سؤاله اليومي: ليش تأخرتي يا ست؟



كتابات العدد الماضي

جماليات السرد وأجنحة الشعر



محمد ضمرة *

نصوص متنوعة، قصص وقصائد، إبحار متمكن بين بحور الشعر الخالص، أو بين خلجان اللغة ومنحنيات شواطئها المطلة على عوالم السرد والشعر معًا، حفل بها العدد الماضي من أقلام جديدة.

- تقاطيع وتضاريس: مهبان جوادي



النص الأدبي شبكة من البيان، قائمة على التركيبة الصوتية واللسانية، إضافة إلى الدلالات النحوية وطريقة تشغيلها أو توظيفها في دائرة التعبير والتشكيل للوصول إلى نص متكامل، ووصول النص إلى مبتغاه.

نص مهبان جوادي قائم على تقطيع النص الكلي إلى نصوص جزئية، دون بتر أو قصّ؛ فالخيوط السردية قائمة بين الأجزاء، ولا شواهد على انقطاعها.

حبكة النص تشتمل على سرد قصصي متباين مع القصة الحكائية، لكنه يتشابه معها.

وعناصر الوصف والتخيل تزيد النص متعة وتشي عمّا في داخله من

* شاعر، عضو هيئة تحرير المجلة – الأردن.



دلالات وإيحاءات يتكلم النَفَس عن مكان الناص فيعطي بعض الصفات الكائنة في المكان مثل الرمال الصلبة، والموج الهادي والخضرة الميتة، جمل قصيرة لكنها محتشدة بالعطاء، ونضارة المشهد الشعري، وتكرار بعض المفردات دلالة على تأكيد المعنى الذهني المختزن في الذاكرة، كذلك استغراق الشاعرة باستعمال الأفعال المضارعة، دلالة على استمرارية الحدث، وعدم انقطاعه، أو حتى ابتعاد شبح الماضي وقسوته، والتماهي مع المعشوق، حتى دخول العدم والتلاشي، صورة تأثيرية وأثيرية، لا يستطيع الإنسان مراقبتها أو التوقف عندها، إنها تأخذه ليسافر وراءها في خيال شعري مجنح.

- الحب في زمن الحمقى : رشيدة بدران

إلقاء النص في دائرة التحويل، هو أحد المفاهيم الجديدة القديمة للشعر، والنص الذي تملكني بعذوبة ألفاظه وتكثيفه لاختزال المعنى، لا يدل على هروب النص من الشاعرة، أو جفائه لها. بل إن الفكرة التي هي لبّ الموضوع تُحتّم على الشاعرة الابتعاد عن الترهل، وعدم الانسياق وراء الجمل الفضفاضة، فالوقت المشحون بالتوتر والقلق، وأحزان النفس المنكسرة لا تسمح بالهرولة، فلا بد إذن من ضبط الإيقاع السردي، والإيقاع الصوتي، المتمثل في هذا البوح من النفس وإليها.

ففي الليل يتم اقتلاع القلب، لتجده في الصباح وقد نما، وعاد إلى سجنه، إنها صورة متكررة تدل على المحاولة المستمرة، للخلاص من عذابات جرّها هذا القلب المتدفق عطاء من أجل أن تراهن على بقائه في حلبة النشاط الممتع.

لا خطوط حمراء تُوقف الإنسان أمامها أو تمنعه من التجاوز. متعة النص لا تحملها الفكرة، بل المضمون الداخلي بما فيه من تنوع في الأداء، ومساحة كبيرة من الخيال، وشحنات العاطفة التي تعطي المفردات إمكانية الاشتعال والتوهج.



وما هذه العذابات المتكررة إلا دفقات شعرية تحكي للإنسان عن وجدانه، وعلاقته مع غيره ومع ذاته في وجود لا نعرف حدود وجوده.

- أمي... أيا عشتاري: لينه النويلاتي



الشعر هو الذي يتجاوز النمط المألوف من الكلام النثري أو العادي. والشعر لا يحدده شكله، فالقصيدة تحلّ في الشكل الذي يناسبها بحريتها وإرادتها، حتى لا تتوجع من الإكراه والتنغيص.

قصيدة "أمي أيا عشتاري" تنفتح على أفقها الشعري بخيوط ذهبية مغرية بالتقاط الصور الصغيرة المكونة للصورة الكلية للنص. إنها صورة عشتارية، دالة على الخصوبة والعطاء، وكثير من يرهنون مفهوم الخصوبة في مساحة الإخصاب النسلي أي الولادة من أجل البقاء لاستمرارية الحياة وعدم توقفها أو انقطاعها.

لأن مفهوم الخصوبة أعم وأشمل، وأجمله ما يحمله من دلالات على خصوبة الحنان والمحبة ودفء الأحضان التي تُغذّي شرايين الجسد بالحميمية، ومتعة الإحساس بإنسانية الإنسان، القصيدة بخيالها، وما تحمله من دلالات، واتكائها على تعدد الأسلوب، من سردية الحكاية، إلى التأمل، إلى الحوار الجواني المليء بالعواطف الساخنة، تجعل من النص، حقلاً متنوع الأزهار متعدد النسائم الحاملة شذا الكلمة المتناسقة، والمتسقة مع ما يجاورها في نسق معياري، لا يتعدى إلى الحشو أو زوائد الكلام، ولا يعاني من عبارات ضائعة أو ضالة، ليدل على جمالياته الشعرية.

- ليلة عرس النار: سها جلال جودت

حالة الوعي تسلّم صاحبها إلى حاله، فيرى ذاته على حقيقتها، وقسوتها، فيدرك المدى الواسع في نفسه المتفشية فيه أنانيته، وتضاريس أوجاعه التي

رسم خرائطها الجهل والغضب، ودفائن من الأحقاد، الناتجة عن تراكمات أزمة الإنسان في كل زمان.

إنها أزمة لا مناص للخروج منها أو الانفكاك من براثنها، "في ليلة عرس النار"، هذا العنوان المتفتح على أفق مضيء بالعذوبة والدلالة والانبهار، يوحي بأن القاصة تُهيء المجال الجليل لسرد قصصي، متنوع الأسلوب، يؤثث لمشهدية الصورة، وإن كانت صورة محزنة يؤطرها الانتقال ونكرات الجميل.

فالمغايرة بين ثنائية الرجل والمرأة، رغم أنها ثنائية تكاملية، إلاّ أنها متشاكلة مع فقه الذات ومعرفة النفس.

فبمقدار رأفتها به وخوفها عليه، كان الفعل المقابل بلا إدراك ينم عن رغبة في الانتقام وشهوة في اغتيال المحبين.

القاصة تمتلك خاصية تمرين اللغة على ترتيب ذاتها في عبارات جمالية، مليئة بالصور التي تُومئ إلى إنسانية الإنسان، لقد قتلها خوفها عليه، لكن الصحوة بعد الاكتواء بنار الضمير لن تُوقظ النائم من نومته الأبدية؛ فالمفارقات واللعب على سردية شدّ الانتباه، مع متعة التذوق اللغوي والتعبيري، يدل على امتلاك القاصة لأدواتها القصصية بخبرة وفنية ومهارة على الإتقان البنائي.

- محاولة للطيران: إبراهيم العامري

ثنائية الموت والحياة، وتشكيل حالة الاستلاب، محور رئيسي في قصة إبراهيم العامري، العاصفة بمحنة الوجود الإنساني، المتشاكل مع الواقع والمحيط الاجتماعي، والذات القلقة والمضطربة من اللحظة الفاصلة، بين الوجود، ومحاولة تثبيته، والانزلاق والاستسلام لليأس القاتل.

قصة العامري، تنساب في سردية مقنعة وملائمة، وثمة حوارات حارة،

تُشعل الجو المشهدي بحرارة المتابعة، والتقاط الصورة المثيرة منذ بداية النص الذي يتكئ على الأغنية التي تشير إلى شيء غائب، والقاص قادر على البوح اللغوي والتصويري، للمتابعة بشغف.

وهناك رموز دالة، حينما يدير نظره إلى الخزانة البيضاء التي رأى فيها أمه وقريته تنام بهدوء هي وأطفالها الأنقياء، فهل هي خزانة الملابس أم خزانة الذاكرة مثلاً؟ وحتى لو كانت خزانة الملابس فإن إطلالة الصور من خزانة الذاكرة المرتبة، تُعبّر عن قدرة النص على تعدد الاحتمالات والدلالات، ولأن المساءات الجميلة مخبأة في مكان ما من هذا الكون، لا أحد يعرفها سوى العصافير، فلا مفر إذن من اللّحاق بسرب هذه العصافير، للدخول إلى تلك المساءات، لنرى صورة صاحب رأس المال كيف يهتم بتوافه الأمور التي تملأ جيبه بأصنامه، ولا يهتم بصورة الإنسان ونهايته، بل إن الإنسانية ليس لها مكان في قاموسه. قصة مشوقة ممتعة تعالج الغرائبية الإنسانية، وغربة الإنسان في هذا الوجود.

- حلم منكسر: هبة الناصر

صحيح أن الأفكار على قارعة الطريق، ولكن الأصح هو كيفية تناول الفكرة، ومن أي زاوية ينظر إليها المبدع، ليجعل منها كائنًا حيًا يتنفس الحياة، ويأخذ الديمومة والبقاء.

"حلم منكسر" لهبة الناصر، عنوان يوحي بالموضوع، ولكن المضمون يتخلق بلغة الكاتبة، بسرد قصصي، لا يخلو من الحوار الداخلي، مثلما هو قائم أيضًا على الحوار الثنائي، فالعلاقة مع الآخر غائمة مضببة. كما يراها سرًا مستمتعًا بإخفائه حتى لا يسرقه أحد ما.

فعملية تقشير الذات المقابلة، ليست بالعملية السهلة، كما أن معرفة الإنسان لذاته لا تقل صعوبة عن فهم الآخر. القصة تحاول تفكيك الأسلاك القائمة وهدم الجدران الضاغطة للكشف والبوح لالتقاط حبيبات السعادة

والفرح.

لكن الحزن والخسارات، كالذئاب المتوحشة والراكضة باتجاه الطرائد.

لغة القصة جميلة، يديرها أسلوب رشيق، والنهاية مفتوحة على العنوان الرئيسي، فالعنوان يُهيئ للنهاية، والمتلقي لا يفاجأ بالنقطة الأخيرة لأن الانكسار الحلمي يلوح بالهزيمة في نهاية المطاف، وقد أثارت الحكاية زوبعة من الأسئلة المكبوتة، لتدلل على مستويات سردية متنوعة، تتعالى فيها اللغة في كثير من الأحيان لتحلق في ساحات الشعر، كشوقها لسماع كلمة غزل هاربة، من شفتين ترتجفان قلقًا من الواقع، ومن الصور الغامضة للعلاقات المضمرة والمخبأة وراء ستائر الأحلام المنكسرة.

- ثلاث قبلات للأمل: إسلام علي

ثلاث قصص ترتبط تصريحًا وتلميحًا وإشارة، فهناك قبلة الصباح الطري، حين تزول العتمة في التحام الشفاه، وقبلة الظهيرة، حينما تخرج من المطبخ، وهي ترصف طريقًا لبقية يومه المتعثر، كي يتمكن من السير دون أن يتهاوى من التعب.

وقبلة المساء وهو يقلب في شفتيها صفحات الغد، ويبعد قلقه الذي يشبه سفينة حائرة تلتمس ضوء الفنار.

قصص ثلاث مختزلة، لكنها معبأة بالدهشة والخيال، والانفتاح على مشهد متحرك، بالعلاقات الثنائية، التكاملية.

سرد قصير ينقل انفعال الداخل، ليصور علاقته مع نفسه ومع الآخر.

يتساقط على الجو الحكائي رذاذ من الشعر فيضفي عليه إيقاعًا ونغمًا خاصًا، يشدّ المتلقي للمتابعة، والإطلال على الصورة التي رسمتها اللغة،

ولوّنها الأسلوب الجميل،

كأن الحكاية ليست خيالاً، بل واقع مرئي، والأمل هو المحور المحرك نحو الخلاص، لأن الأمل مفتاح لأبواب الحياة، من دونه تخسر كل شيء، تفقد متعة الوجود والإلهام، الأمل الذي لا يشبه الخيال الكاذب إلاّ لحظة انحسار الغبار أو ذوبان الثلوج، وإبانة الواقع، وصداميته مع الذات، حتى لو بدأ مخاض الحلم في النزول.

فلا مناص من الحلم وبنائه في نص سردي جميل، كقصة إسلام التي تمتلك كل عناصر المتعة والإدهاش، بلغة تحترم مقامها في نص له حاله الخاصة.

- خميس: خالد يوسف أبو طماعه

لا يستطيع المبدع إلاّ أن يكتب نفسه مهما حاول التهرب من سلاسل هذه النفس المتسلطة. فالقاص خالد يوسف مرهون لطفولته، كما الآخر، وهو لا يستطيع الانعتاق كليًا من ذكريات الطفولة، لأنها هي المكون الأساسيّ لحياة الإنسان، وستبقى تلك المرحلة، من أهم المراحل التي تُزوّد الإنسان بالحنين والتشوق إلى مفقودات كثيرة من عالمه الخاص.

خميس الخارج من بقايا طفولة، والذي لا يعرف من عالم النساء غير صدر أمه وقلبها المليء بالحنان والدفء، والمعبأ بالوصايا التخويفية من الالتفات إلى جمال المرأة للبحث عن نصف التفاحة المخبأة بين وجوه الحسناوات، لا يملك المرء إلا أن يتعاطف معه، فأسلوب القاص، واللغة الراثية لحاله، والصور المدفونة بين أضلاع الصدور، يُعرّيها القاص أمام المتلقي، فيشده بأسلوبه، وتجذبه اللغة، بما اقتنصته من بديع وبلاغة وفرادة في الوصف والخيال.

فترى أوراقه على المكتب المتهالك، والوصايا التي حاربته، فأقعدته كسير الحال، خوفًا من ملاحقة الأطفال في شوارع المخيم، لئلا يصبح مجنونًا جديدًا مضافًا إلى عالم المجانين. مع أن هذا العالم لم يعرف

سوى قلة منهم في كل العصور والأزمنة والأمكنة، كما أن عالم المادة قد أخفى مساحة واسعة من أرض المجانين.

- دلال: زيد الزبون



العنوان دال على موضوع النص، والنص مليء بالمضامين التي تُوحدها ويجمعها السياق النصي من غير معاندة أو إكراه.

والشعر يرفض التفسير الحرفيّ لكنه يقبل التأويل، والذهاب في الدلالات إلى دلالات جديدة، بحيث لا يجفو الصورة الجميلة، ولا الأسلوب الإرادي المنبثق من الوعي والإدراك، مع أن الشاعر حينما يكتب قصيدته فإنه يقف في المنطقة المحرمة بين الوعي واللاوعي، ولذلك حينما يعيد قراءة نصه، يفجؤه النص بما حمل، فيستشعر القيم الجمالية التي تجلت في النص الشعري.

قصيدة دلال، من ضمن هذه القصائد المليئة والمحتشدة بالمفارقات، والتي تنساب فيها اللغة ببديعها، ونحوها ورقتها وخيالها فتمتلك عيني المتلقي ووجدانه، لمتابعتها عبر لحنها وعذوبتها وصفائها.

النفس تنكر نفسها علنًا والروح يُنكر روحها الجسد، فالشاعر زيد مُلمٌّ بالثالوث الجامع للذات الإنسانية، فيخاطب كل زاوية من هذه الزوايا الثلاث، في طقس عشقي من نوع خاصٍ، إنه الشوق والمناجاة، والبوح بما في حنايا الفؤاد، لفؤاد يزداد دلالاً وتمنّعًا لأن الهوى في طبعه وغدُ، وإلاّ فلا يكون حينئذٍ هوى وميلاً واشتعالاً.

- نصوص: زهية مطاوع شريقي

النص المتدفق من توجهات الروح، يجد طريقه سالكة ومعبدة إلى

أرواح الآخرين.

كذلك هي نصوص زهية الثلاثة، فمن همس المساءات الموجعة، تستوقفنا الصور المبتكرة، ذات الدلالات الجديدة، مثل زغرودتي المبحوحة مثلاً، أو ما زالت خارطة الطريق ترسمني وتُسلمني إلى اللاطريق. وما زالت أذيال القمة تبحث عن حضيضي كي تجرّه يومًا ما.

كذلك ما جاء في النص الثاني المسمى بالقُبّرة، فقد ذهبت لتنسج عشًا من عظامها للقبرة.

والنص الثالث: اللحظة، وهي تتفيأ ظلال الذكريات، وتقبع في سجن اللحظة، والذاكرة العجوز العقيم، كفها ملأى بالتجاعيد.

لا شك أن النصوص الثلاثة، نصوص شابة وفتية ملأى بالصحة والعافية والجمال والرشاقة، والكاتبة تمتلك حسًا إبداعيًا متدفقًا، قادرًا على تخليق صور شعرية مشحونة بالحنين إلى الماضي متوجعة أمام اللحظة الفاصلة بين التصدي والمواجهة، وبين لحظات الانكسار والعبث.

الحس الأدبي في كل عبارة، يُظهر جماليات المفردة، وجمالية الأسلوب، ودهشة المفاجأة.

حسٌّ أدبي ينطلق على جناحي خيال هادئ، يُحلق في فضاءات المعنى، وكلما أوقفتنا صورة جميلة، نادت علينا صور أخرى للذهاب إليها، والتماهي معها.

لا يملك المتلقي أمام هذه الإبداعات الشبابية إلا أن يفتح قلبه قبل أن تفتح الصفحات بياضها لهذه التجارب المتمكنة والمتمرسة على الدخول في هذه المحاريب لقراءة النصوص بطهارتها ورقّتها والانتشاء بها دائمًا.



عن الشرطة الرقمية

محمد سناجلة *

يبدوان كشخصيتين من عالم سبيس تون، مجرد رسم كرتوني بعينين لامعتين تسطعان بشيطنة تُذكرّانك بالقط الذكي توم وهو يخطط لاصطياد الفأر جيري بألف حيلة وطريقة.

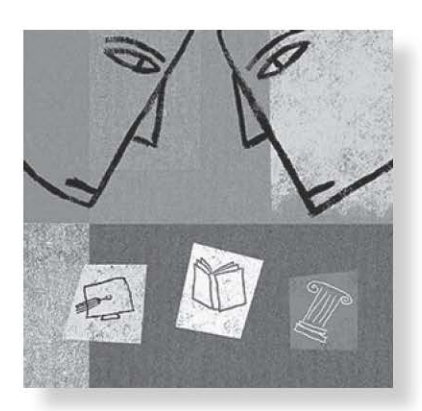
لكننا نعرف ونحن نشاهد فيلم الكرتون أن هذا مجرد فيلم من خيال لا أكثر.

الأمر هنا مختلف تمامًا وحقيقي إلى درجة الرعب، إنهما "تشا تشا" وشقيقه "جينغ جينغ"، وهما لا يحاولان اصطياد الفئران هذه المرة، بل البشر، وقد يصل الأمر إلى حد إيداعهم السجن لسنوات طويلة، وربما التعذيب والموت.



فقد اخترعت العبقرية الصينية أو لنقل عبقرية النظام الشمولي في الصين هاتين الشخصيتين الافتراضيتين لتكونا بمثابة شرطيين رقميين يتجولان في عالم الإنترنت ويُشكّلان رقابة صارمة على كل ما يدور داخل الشبكة الإلكترونية، وبالذات ما يتعلق بالشأن الصيني على وجه أكثر دقة.

* روائي ورئيس اتحاد كتاب الانترنت العرب، عضو هيئة التحرير - الأردن



إنها الشرطة الرقمية بلا أقنعة، والهدف فرض رقابة صارمة على مواقع الشبكة العنكبوتية في بلد يبلغ عدد سكانه أكثر من مليار نسمة.

فمن يجرؤ على عدّ الأنفاس على البشر!

إن الأمر خطير جدًا ومرعب، فمنذ أن وجدت شبكة الإنترنت غدت متنفسًا حقيقيًا لملايين بل مليارات البشر المتعطشين للحرية والهاربين من قيد الأنظمة وقوانينها الصارمة.

الإنترنت حرية قبل كل شيء وبعده، ورغم كل ما يشوب هذه الشبكة من سلبيات، وما يقال عنها من أقاويل حول تخريب العادات والتقاليد والنظام القيمي السائد منذ مئات السنين، فإنها لم تفعل أكثر من جعل البشر أكثر قربًا من بعضهم، وأكثر معرفة وعلمًا، وأكثر إنسانية.

ملايين من قصص الحب التي تنشأ كل يوم على الشبكة، وملايين من الصداقات الحقيقية بين أناس ما كان لهم أن يلتقوا، ويخترقوا عامل المسافة لولا هذه الخطوط السحرية للشبكة التي تسمى ظلمًا بالعنكبوتية.

وما لا يعدّ ولا يُحصى من المعارف والعلوم تنتقل في كل لحظة بين بني البشر، بدءًا من كيفية تعلّم الأبجدية، وليس انتهاءً بكيفية صُنع صاروخٍ عابرٍ للقارات.

وإذا كان ثمّة مشاكل وسلبيات للشبكة... للحرية، فلنتذكر القول الشهير: إن الحل لكل مشاكل الحرية هو المزيد من الحرية.

وفي الحقيقة فقد غدت شبكة الإنترنت بما تتيحه من حرية لا

يحدها مدى، رعبًا لكل الأيدولوجيات المغلقة التي تنظر للعالم من زاوية واحدة فقط.

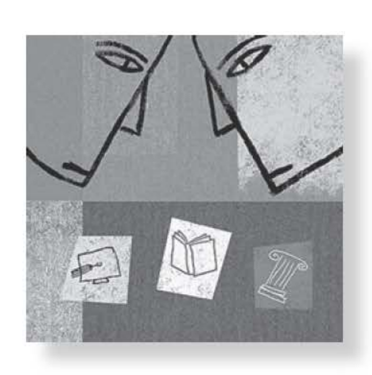
وقد جرت محاولات كثيرة للسيطرة على الشبكة وإحكام الرقابة عليها، ولكنها جميعًا لم تستطع الحد من قدراتها، ولا مصادرة حلم الانسان بالتحرر من ربقة مستعبديه.

ولعل أشهر الأنظمة التي ما زالت تُستخدم في الرقابة حتى الآن هو ما يعرف بـ "حائط النار" أو جهاز التحكم المعروف بـ "البروكسي" ويتم ذلك من خلال إجبار المتعاملين مع الشبكة على المرور عبر فلاتر البروكسي قبل الوصول للإنترنت.

هذا إضافة إلى وجود قاعدة بيانات ضخمة بأسماء المواقع المنوعة التي يتم تحديثها بشكل مستمر ودائم، فضلاً عن وجود برامج حجب مركزية تشكل كلها ترسانة الرقابة الإلكترونية.

وهذا النظام معمول به في أغلب دول العالم التي تتعمد فرض رقابة على الشبكة بما فيها معظم الدول العربية، يستثنى من ذلك كل من الأردن ومصر وليبيا والمغرب التي لا تفرض أية رقابة مهما كانت على الشبكة، وهي الوحيدة في الدول العربية التي لا تراقب استخدام الإنترنت، وهذا يحسب لها في ظل الرقابة التي تمارسها بقية الدول العربية.

وقد أثبتت الدراسات العلمية عدم جدوى هذه الطريقة على المحترفين القادرين على اختراق هذا النظام، حتى غدا من الممكن



القول "إن الشبكة تستعصي على الرقابة".

وقد بقي الأمر كذلك حتى فاجأتنا وكالات الأنباء مؤخرا عن النظام الصيني الجديد وشرطته الإلكترونية.

"تشا تشا وجينغ جينغ"، (استنبط هذان الاسمان من الأحرف الصينية التي تعني كلمة شرطة) قادران على التجسس على أي موقع، وبالذات غرف الحوار والمنتديات، ويسجلان كل ما يدور فيها ثم يقدمان تقريرهما إلى السلطات المختصة، وقد نجحا حتى الآن في إيداع المئات السجن، وتحويل عشرات الحالات إلى المحاكم، وكلها قضايا تتعلق بحرية الرأي والتعبير.

وتتمثل طريقة عمل "جينغ جينغ وتشا تشا" بالظهور كشخصيتين إعلانيتين قابلتين للحركة على مواقع إلكترونية صينية، وكمستخدمين لنظام الرسائل الفورية، إذ يجوب الثنائي الكرتوني مستطلعًا المواقع الإلكترونية للأخبار والحوارات، لإخافة أي شخص ربما يغريه استخدام الهوية المجهولة لخرق قوانين الصين.

ويبدو هذا النظام حتى الآن عصيًا على الاختراق، بل تفكر أميركا في استخدامه ضد شركة غوغول بعد أن رفضت اشراك الحكومة الأميركية في معلومات حول محرك البحث التابع لها، وهناك العديد من الدول تفكر في استخدامه!

وبعد؛ فإنّ الحرية مقدسة وليس هناك من نظام غير قابل للاختراق، وقد بدأ ثوار الشبكة (الهاكرز) منذ الآن في البحث عن حلول لاختراق هذا النظام وتدميره، وسيتمكنون من ذلك، فالإنترنت لنا نحن المستضعفين في الأرض، وليست هناك قوة قادرة على سلبنا حلمنا بالحرية.



عز الدين إسماعيل ناقدًا

هبة سلطان*

"هذه المجلة لا تعرف المسلمات في أي لون من ألوان الثقافة وتؤمن بالمنهج العلمي، لذلك لا تحصر نفسها في مذهب أو اتجاه فكري بذاته، بل تفتح الباب لكل دراسة وكل فكر يلتزم بالجدية والموضوعية". هذا ما قاله عز الدين إسماعيل في العدد الأول من مجلة فصول التي كان يرأسها، وتعد هذه المقدمة منهجًا سار على خطاه منذ بداية حياته.

ولد عز الدين إسماعيل في التاسع والعشرين من كانون الثاني عام ١٩٢٩ ودرس في كلية الآداب في جامعة القاهرة وتخرج فيها، ثم تابع دراسته في كلية الآداب في جامعة عين شمس وحصل منها على شهادتي الماجستير والدكتوراه. ثم عمل فيها وتدرّج في منصبه حتى عُين عميدًا لكلية الآداب عام ١٩٨٠، عمل الدكتور عز الدين في عدد من الجامعات في الدول العربية منها: السودان والمغرب والسعودية. وترأس عددًا من المؤسسات التي تعنى بالثقافة والأدب، منها: الأكاديمية المصرية للفنون، والهيئة المصرية العامة للكتّاب بين عامي (١٩٨٢- ١٩٨٥)، وأسس جمعية النقد الأدبي بالقاهرة، التي كان يحتشد فيها نقّاد من العالم العربي وأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٨٧. وهو أول من أدخل فكرة النشاط الثقافي والفكري المصاحب لمعرض القاهرة الدولي. كما عمل أمينًا عامًا للمجلس الأعلى للثقافة، وكان عضوًا في هيئات التحكيم لعدد من الجوائز الأدبية العربية منها جائزتا العويس والبابطين.


عز الدين إسماعيل

حصل على عدد من الجوائز والأوسمة في مجال النقد والثقافة منها: جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام١٩٨٥، ووسام العلوم والفنون، وجائزة الملك فيصل العالمية عام ٢٠٠٠.

* من الأقلام الجديدة في مجال النقد - الأردن

وضع العديد من المؤلفات المتنوعة في النقد الأدبي والفكر، ولم يحصر نفسه في نمط واحد من الفنون والآداب، بل كان شامل المعرفة والاطلاع؛ فقد قرأ النصوص العربية والغربية، الحديثة منها والتراثية، واستخدم المناهج الغربية في قراءة النصوص العربية.

وقد ساعدت وظيفة عز الدين الأكاديمية في محاولة تيسير سبل المعرفة لطلابه وذلك بتأليفه بعض الكتب التي سهّلت عليهم الحصول على أكبر قدر من المعرفة الأكاديمية المتعلقة بالتراث على وجه الخصوص، ومن هذه المؤلفات كتابه الموسوم بـ "المصادر اللغوية في التراث العربي".

وقد ذكر في مقدمة هذا الكتاب أن الغرض من تأليفه تعريف طلاب الجامعات بالمصادر الأساسية للدراسات العربية، إذ يشمل هذا الكتاب تعريفًا بعدد من المصادر الأدبية واللغوية، ومن أهم المصادر الأدبية التي عرّف بها: الأصمعيات والمفضليات والأغاني ونفح الطيب. أما المصادر اللغوية فمنها: كتاب الخصائص لابن جني ولسان العرب لابن منظور والنوادر لأبي زيد الأنصاري.

كما لاحظ أثناء تدريسه في الجامعات أن ثمة حاجة للتأسيس المعرفي والفكري لتراثنا القديم ومعرفة البنية الأساسية التي قام عليها، فألّف كتابه: "المكونات الأولى للثقافة العربية: دراسة في نشأة الآداب والمعارف العربية وتطورها". وقال في مقدمته "تبيّن لي حاجة الدارسين إلى كتاب موجز يعالج بعض القضايا التي تتصل بصورة الثقافة التي كانت متاحة في ذلك العصر... فليس مما يستقيم في العقل مثلاً أن يبلغ فنٌّ كفن الشعر درجة عالية من الاستواء والنضج في العصر الجاهلي في بيئة فقيرة هزيلة ثقافيا".

وتناول في هذا الكتاب فن الشعر وعلاقته بالبيئة الاجتماعية، وكذلك فن النثر كسجع الكهان والأمثال والخطب والقصص والسير. وعالج المعارف العلمية التي دخلت في التكوين الثقافي عند العرب في العصر الجاهلي، كالمعارف الجغرافية والفلكية والطبية التي تمسّ الحياة اليومية.

ويُعدُّ كتابه "الأدب وفنونه" مقدمة في النقد الأدبي، أو مدخلاً له، فقد صدّر كتابه بالحديث عن نظرية الأدب، فعرّف الأدب بوصفه فنًا من فنون الكلام له سماته الخاصة من حيث التشكيل اللغوي والبناء الفني للصورة الأدبية المعبرة عن الفكر والعاطفة. ثم تحدث عن المدارس الأدبية كالمدرسة الاجتماعية، وعلاقة الأديب بالمجتمع، والمدرسة الكلاسيكية، والمدرسة الرمزية، والمذهب السريالي، والمذهب الوجودي، وتحدّث عن نظرية النقد .

ومن أهم آرائه النقدية في هذا الكتاب:

١. أن الناقد يقوم مقام الوسيط بين المؤلف والقارئ ، فهو يفسر للقارئ عمل الأديب ويتحدث عن النقد الإبداعي .

٢. يرى أن الأديب يختلف عن الناقد في الغاية والوسيلة. فهو يرى أن على الناقد أن يكون ذا خبرة فلسفية واضحة حتى

يستطيع أن يقوم بمهمة الحكم على العمل الأدبي.

وأفرد لكلٍّ من القصة والمسرحية فصلا للتعريف بهما، ثم أضاف للكتاب ملحقًا تحت عنوان "أنواع أدبية أخرى".

ولعل كتاب "الشعر العربي المعاصر: قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية" من أهم مؤلفاته التي عرض فيها قضية الشعر الحديث وما يتعلق به من قضايا نقدية حديثة مثل: تشكيل الصورة في الشعر المعاصر، والرمز والأسطورة، والنزعة الدرامية.

إن اهتمام عز الدين إسماعيل بالفن جعله موضوعيًا في التعامل مع النصوص الأدبية، فهو يقبل كل عمل فني ويدافع عنه سواء أكان قديمًا أم حديثًا عربيًا أم غربيًا ما دامت عناصر الجودة والإبداع متوفرة فيه. وهذا جعله يسعى لمعرفة المناهج النقدية ودراستها، ودراسة النصوص الأدبية على ضوئها.

ويعد المنهج النفسي من أهم المناهج التي قرأ بها النصوص الأدبية؛ ففي كتابه "روح العصر"؛ وهو عبارة عن مقالات أعاد نشرها، نلاحظ أنه تناول قضية النسيب في مقدمة القصيدة الجاهلية في ضوء التفسير النفسي، وفي الكتاب نفسه اهتم بالتفسير النفسي لمسرحية "يا طالع الشجرة" لتوفيق الحكيم، ويتجلى اهتمامه بالمنهج النفسي في كتابه "التفسير النفسي للأدب" فهو من أهم الكتب التي يشير إليها النقاد، ودارسو الأدب والنقد، وهو من أسبق الدراسات التي تحدثت عن الصلة بين الأدب وعلم النفس عند العرب. ووضع فيه بعض مفاهيم علم النفس مثل: السادية والنرجسية وعقدة أوديب، كما تناول عددًا من النصوص العربية والغربية وقام بتحليلها وفق هذا المنهج.

ومن كتبه أيضًا: "القصص الشعبي في السودان"، "الحكاية الخرافية ونشأتها"، "الفن والإنسان"، "قضايا الإنسان في الأدب المسرحي"، "الأسس الجمالية في النقد الأدبي"، "الشعر العباسي: الرؤية والفن"، "الشعر المعاصر في اليمن"، "الشعر القومي في السودان"، "عشرون يومًا في النوبة"، "التراث الشعبي العربي في المعاجم اللغوية".

ومن أهم تراجمه: "فرديناند دي سوسير: أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامة"، لجونثان كلر، و "مقدمة في نظرية الخطاب" لديان مكدونيل، و "نظرية التلقي" لروبرت هولب.

وبعد هذا العرض لمؤلفات الأستاذ الناقد عز الدين إسماعيل يتضح لنا مدى إسهاماته في محاولة تأسيس نظرية نقدية عربية مما كان له أثر بيّن في التواصل بين حركة النقد الغربية وحركة النقد العربية. وذلك من خلال ثقافته النقدية الغربية ومن خلال ترجمته لبعض الأصول والنظريات النقدية الغربية وتأثره بها وتطبيقها.

"تعليم الأمة العربية في القرن ٢١" الكارثة أو الأمل

د. محمود قظام السرحان *

صدر عن منتدى الفكر العربي في عمان في عام ١٩٩١، كتاب تعليم الأمة العربية في القرن الحادي والعشرين، "الكارثة أو الأمل"، ويعدّ هذا الكتاب التقرير التلخيصي لمشروع مستقبل التعليم في الوطن العربي: تحرير د. سعد الدين إبراهيم أمين عام منتدى الفكر العربي الأسبق.

ويقع الكتاب في عشرة فصول، وتقديم وخاتمة فضلاً عن الهوامش والملاحق، جاءت في مئة وستين صفحة من القطع الكبير، بحيث تناول الفصل الأول العالم في تسعينيات القرن الماضي والقرن الحادي والعشرين وما سيشهده من تطورات ومعطيات جديدة لعل أبرزها الثورة التكنولوجية الثالثة وثورة التكتلات الاقتصادية العملاقة والثورة الديمقراطية ومحددات جديدة للقوة والصراع.

في حين ركّز الفصل الثاني على الوطن العربي والعالم واستعراض السيناريوهات المحتملة للمستقبل العربي والمتمثلة بالآتي:

- مشهد التدهور "السيناريو الأندلسي" ويعني ببساطة استمرارية الوضع العربي الراهن على حالته فضلاً عن التراجع والتقهقر والمزيد من التدهور دون ظهور بارقة أمل جديدة.
- مشهد الإصلاح "السيناريو الأيوبي" ويعني إمكانية الخلاص من الحالة المأزمية والمأزقية العربية الراهنة، والانطلاق من جديد في حركة إصلاحية شاملة لتحريك الوضع نحو الأحسن والأفضل تمامًا مثلما فعل القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي الذي انطلق من حالة اليأس والتراجع والنكوص العربي الإسلامي لبناء موقف عربي إسلامي

* كاتب في الشؤون التربوية والاجتماعية – الأردن.

جديد قوامه الوحدة في مواجهة الأطماع الصليبية في المنطقة العربية، بحيث تسنّى له بناء وحدة مصر والشام كمقدمة لازمة وضرورة لا بد منها لمواجهة الفرعنة ورسم معالم المستقبل العربي القادم على أرض معركة حطين.

• مشهد الانطلاق "السيناريو العمري" ويعني إمكانية الانطلاق من جديد في حركة نهوض عربي شاملة في حالة توفر الإرادة الحقيقية للانطلاق من أسر التخلف والجمود والركود تمامًا مثلما عمل الخليفة الراشد الفاروق عمر بن الخطاب في بناء المشروع النهضوي العربي الصاعد وتأسيس دولة الخلافة الإسلامية الرائدة استمرارًا لنهج المصطفى (صلى الله عليه وسلم) وخليفته من بعده أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وتركز الفصل الثالث، حول الحاضر تعليم للماضي. واشتمل على العناوين الفرعية التالية: الأمية في الوطن العربي، وتعليم المرحلة الأولى والثانية، والتعليم العالي والبحث العلمي، والسياسات والممارسات المستمرة في التعليم العربي. والماضي في أهداف التعليم العربية وسياساتها.

في حين تناول الفصل الرابع تعليم المستقبل من حيث أهداف تعليم المستقبل، وأهداف التعليم وسيناريوهات المستقبل العربي، التي لا تخرج بمجملها عن السيناريوهات المحتملة الآنفة الذكر.

وتناول الفصل الخامس استراتيجية تعليم المستقبل من حيث استعراض مجالات الشجرة التعليمية، وتعليم كيفية التعلم والجسور التعليمية، ونقاط العبور المتعددة والمجتمع المدني والدولة وفك الارتباط بين الشهادة والوظيفة.

وتركز الفصل السادس حول هيكل النظام التعليمي واستعراض مراحل التعليم سواء ما كان منها في مرحلة ما قبل المدرسة والمدرسة المشتركة والمدرسة الثانوية الموحدة أو التعليم العالي ومراكز التميز الرفيع والتعليم غير النظامي.

ودار الفصل السابع حول تساؤل ماذا سيتعلم أبناؤنا؟ واستعراض مناهج التعليم قبل المدرسة ومناهج التعليم الأساسي/ المدرسة المشتركة/ ومناهج التعليم الثانوي/ المدرسة الموحدة ومناهج التعليم الجامعي والشروط المصاحبة للتنظيم المقترح للمناهج.

في حين طرح الفصل الثامن تساؤلاً آخر حول من سيعلم أبناءنا؟ وإعداد المعلمين واستعراض الوضع الراهن للمعلم العربي والتحديات التي تواجه إعداد المعلمين وتصورات مستقبلية بشأن إعداد المعلمين.

ودار الفصل التاسع حول الإدارة التربوية. والعاشر في اقتصاديات تعليم

المستقبل.

وجاء في تقديم الكتاب أن التعليم هو الطريق لأي نهضة حقيقية ولكن ليس أي تعليم، إنما تعليم من نوع جديد يُهيئ الفرد والمجتمع لحقائق وديناميات عصر جديد هو عصر الثورة التكنولوجية الثالثة، عصر التغير المتسارع عصر الانفتاح الإعلامي الثقافي الحضاري العالمي، عصر تغيّر الأهمية النسبية لقوى الإنتاج.

فالثورة التكنولوجية الثالثة هي أهم خواص القرن الحادي والعشرين وهي ثورة تعتمد على المعرفة العلمية المتقدمة والاستخدام الأمثل للمعلومات المتدفقة بوتيرة سريعة، ويُقدر خبيرو الدراسات المستقبلية أن حجم المعرفة العلمية سيتضاعف كل سبع سنوات.

والتغير الاجتماعي المتسارع الذي هو أحد خواص القرن الحادي والعشرين، يعني أن القيم والمؤسسات والعلاقات الاجتماعية ستكون عرضةً للتغيّر والتحوّل والتبدل عدة مرات، لا من جيل إلى آخر كما كان عهدنا في الماضي، ولكن في حياة الجيل نفسه، وهذا التغيّر المتسارع هو نتاج الثورة التكنولوجية الثالثة. ويتطلب هذا التغير الاجتماعي المتسارع من الفرد والمجتمع أن يكونا سريعي التكيف والتأقلم مع كل تحول وتبدل وإلا دهمهما هذا التغير بقطاره المندفع. ومرة أخرى لا يمكن للفرد والمجتمع أن يتكيفا إلاّ إذا كانا مُسلّحين بنوع من التفكير والمعرفة يساعدهما في ذلك، ويقع هذا العبء أساسًا على النظام التربوي.

والانفتاح الإعلامي الثقافي الحضاري العالمي أحد خواص القرن الحادي والعشرين؛ فوسائل الاتصال السريعة بل والآنية، ستعبر الحدود بلا قيود برسائلها ومضامينها من أي مجتمع لأي مجتمع آخر، فالإرسال والاستقبال عبر الأقمار الصناعية يجعل من الحدود السياسية للدول ومن وسائل الرقابة التقليدية أدوات بدائية عديمة الكفاءة وقليلة الفاعلية في منع أو تحصين الفرد ضد استقبال محتويات الرسائل الإعلامية والثقافية الوافدة من مجتمعات وثقافات أخرى. إن التحصين الحقيقي في مواجهة هذا التدفق الإعلامي والثقافي الوافد هو وعي الفرد والمجتمع وقدرتهما على الفرز النقدي والاختيار والتمثل من بين ما يتساقط عليه.

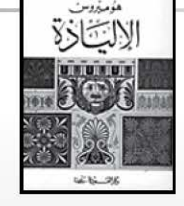
إن الإنسان الفاعل في القرن الحادي والعشرين سيكون الإنسان المتعدد المهارات، وأهم من ذلك الإنسان القادر على التعلم الدائم الذي يقبل إعادة التدريب والتأهيل عدة مرات في حياته العملية. والمجتمع الفاعل في القرن الحادي والعشرين سيكون مجتمعًا تستأثر فيه خدمات المعلومات بأكبر نصيب من القوة البشرية.

وجاء في مقدمة الكتاب إن إصلاح

التعليم، هو شرط ضروري للنهضة العربية؛ إذ لا يمكن أن تتم هذه النهضة إلا بإصلاح التعليم، ولكنه شرط غير كاف، وشروط الكفاية هي توفير مجالات واسعة أمام المواطن العربي، للإنتاج والمشاركة السياسية. فهذه المشاركة هي التي تضمن أن يُؤْتي التعليم كل ثماره المرجوة، فالإنتاجية المرتفعة بدورها هي التي تضمن عائدًا اقتصاديًا كبيرًا لا يُوفر للمجتمع مستوىً معقولاً للعيش فقط ولكن يوفّر أيضًا الموارد الكافية للاستمرار في تمويل التعليم للأجيال التالية، والمشاركة السياسية الإيجابية بدورها هي التي تضمن الاستقرار الاجتماعي والاستمرار الحضاري للأمة العربية.

إذن نحن بصدد ثالوث مترابط من شروط النهضة العربية هي: التعليم للمستقبل، والتنمية الاقتصادية، والمشاركة السياسية، التعليم في هذا الثالوث هو شرط الضرورة، والتنمية الاقتصادية والمشاركة السياسية هما شرطا الكفاية، وبتوفر هذه الشروط الثلاثة يكون أمام الأمة العربية أمل حقيقي ضخم لولوج القرن الحادي والعشرين وهي أمة أكثر توحّدًا وقوة واستقلالاً وتماسكًا ورخاء وعدالة.

مختارات



الإلياذة

تُعدُّ الإلياذة كبرى الملاحم الإغريقية الكلاسيكية، وتقع في أربعة وعشرين مجلدًا وهي تُنسب تقليديًا إلى الشاعر الإغريقي الشهير هوميروس، وتبدأ الإلياذة بسرد فصول من تاريخ اليونان وحروبها من اللحظة التي يقع فيها الخلاف بين أجاممنون قائد الحملة اليونانية ضد طروادة وبين أشجع أبطال اليونان أخيلوس أو (أخيل) الذي يقرر الانسحاب إلى خيمته. ونتيجة انسحابه يتعرض اليونانيون لخسائر فادحة ومصائب عديدة، ويرفض أخيل كل محاولات الصلح مع أجاممنون، فيضطر صديقه الحميم باتركليوس إلى التدخل، فيسمح له أخيل بأن يرتدي درعه ويحارب في صف اليونان، لكن باتركليوس يلقى مصرعه في المعركة على يد البطل الطروادي هكتور فيحزن أخيل عليه حزنًا شديدًا، ثم ينسى غضبه على أجاممنون ويشترك في القتال من جديد ضد الطرواديين ولا يخرج من المعركة إلاّ بعد أن يقتل هكتور وينتقم لمصرع باتركليوس ويدفنه في احتفال مهيب، وبعدها يستجيب لتوسّلات الشيخ بريام والد هكتور وملك طروادة باستعادة جثة هكتور، وتنتهي الإلياذة بوصف مؤثر جدًا لدفن هكتور وسط نحيب الطرواديات وعويلهن.

ويقدر الباحثون أن الإلياذة نظمت ما بين سنة ٧٥٠ ق.م إلى ٧٢٥ ق.م، وقد قام بنقلها إلى العربية شعرًا سليمان البستاني.

"المنامات الأيوبية" نموذجًا:
المقامات في الأدب الحديث

هداية رزّوق *

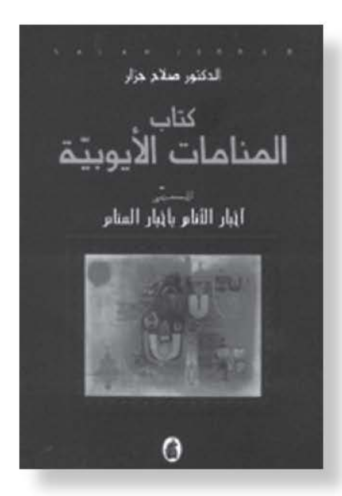
يقرر أحد الباحثين الذين قاموا بدراسة المقامة "أن الحديث عن المقامة باعتبارها نوعًا ذا سمات ثابتة، أبعد ما يكون عن اليقين"، ويعلل ذلك بأن كل تقليد هو بشكل ما خيانة للأصل، وأن "سمات الأصل قد تغيرت على مرّ الزمن، إلى حدّ مصادفة مؤلفات لم تكن تُعدُّ أبدًا مقامات، لو لم يلصق بها أصحابها ومؤلفوها أو أي صاحب ترجمة هذه التسمية، معنى هذا أن جنس المقامة جنس أدبي مطّاط، شديد التحور، حتى أنه يغير شكله تمامًا من كاتب إلى آخر، فهو "قد لا يحتفظ من المقومات التي لا بد منها؛ لكي يحمل صفاته التجنيسية إلا بالقدر اليسير حتى ليكاد يفقدها" وفي تاريخ دراسة المقامة، يقف معظم الباحثين على أن من السمات الأساسية للمقامة استخدامها للسجع، فهل من الممكن أن يعد السجع سمة من سمات المقامة ؟

كيف هذا والسجع ليس مقصورًا على جنس المقامة فقط، فهو سمة من سمات الكتابة العربية في العصر الوسيط، "ولا يمكن اعتباره معيارًا حاسمًا يتحكم في منح تسمية مقامة إلى نص من النصوص، وإذا انتقلنا إلى سمة أخرى غير الجنس المقامي وهي الموضوع، فسنجد رغم وفرة المواضيع التي تتحدث فيها المقامة، أن الموضوع المهيمن هو موضوع "الكدية" غير أن هذا الموضوع لن يستطيع أن يفرض هيمنته على تاريخ المقامة، فكان تغير الموضوع سمة من سمات التفكك، فمرة يكون الموضوع عن الكدية كما في مقامات الهمذاني، والحريري، وناصيف اليازجي، ومرة يكون الموضع خياليًا، كما في مقامات أحمد عبد اللطيف البربر، ومرة يكون الموضوع وعظيًا بحتًا، كما في مقامات الزمخشري، وقد يكون الموضوع علميًا أو جدليًا، كما في بعض مقامات

* من الأقلام الجديدة في مجال النقد – الأردن.

السيوطي.

هذه السمات هي سمات سابقة لنص الهمذاني، فـ "الهمذاني" قام باقتباس المادة التي أخذها من كثير من السوابق الأدبية وإعادة صياغتها، وقد رأى شوقي ضيف أن الهمذاني، عندما تأثر بابن دريد من حيث مستوى الشكل، فإنه قد تأثر من حيث المضمون بما كتب عن الشحاذين "أهل الكدية" بالجاحظ وغيره من المؤلفين، غير أن السمة ذات الأهمية من بين سمات المقامة، التي تتميز بها مقامات الهمذاني فيما يذهب إليه عبد الفتاح كليطو، هي البنية السردية؛ فـ "البنية السردية" لمقامات الهمذاني هي ما لا نجده في النصوص السابقة عليه، بل أكثر من ذلك، أنها تشكل الخصيصة الذاتية للمقامة، وقريب من هذا ما تذهب إليه فدوى مالطي دو جلاس، أن من بين الصفات الأساسية للمقامة، التي تميز بوضوح المقامات عن الأشكال الأدبية السابقة عليها، "هي طبيعة المقامات باعتبارها كيانا كاملاً" من هذا المنطلق، وإذا كان ما يفرق بين المقامة والأشكال الأدبية السابقة، هي وحدتها النصية وبنيتها السردية، فإن ما يفرقها عن النصوص اللاحقة، هو أيضًا البنية السردية و "الترابط النصي"، وليس أيا من السمات الأخرى العائمة على تاريخ الثقافة العربية، فاستخدام السجع عند الهمذاني ينطوي تحت استراتيجيته الخاصة في النثر الفني التي يتبنى فيها شعرية الكتابة "المرموزة" التي تدفع بالناثر إلى استخدام الأشكال الأسلوبية ذاتها التي يستخدمها الشاعر، وأن يلجأ إلى القافية التي بتجزئتها لسلسلة الخطاب إلى أجزاء، تتميز بفواصل ثنائية، أو أكثر أحيانًا، تدخل إيقاعًا للقراءة، "إيقاعًا تمليه في مبدئه إرادة محو الحدود بين النثر والشعر".



لقد كان للهمذاني أسلوبه النثري الخاص الذي خالف به ملوكًا متوجة مثل "الجاحظ" الذي انتقده الهمذاني في المقامة الجاحظية؛ ناعتًا إياه بأنه "قليل الاستعارات، قريب العبارات، منقاد لجريان الكلام الذي يستعمله"، كذلك ابن المقفع الذي يصنفه الهمذاني في خانة الجاحظ، لقد عاب الهمذاني عليهما "بلاغة الإقناع"، وهو الطريق المستقيم إلى ذهن القارئ، وقد خرجت

المقامة عن دائرة التشكيل المقامي؛ فمن خصائصها تغير موضوعاتها عبر التاريخ الأدبي، حتى إن بعضهم قد كتب مقامة في تعلم الشطرنج وآخر في علم النبات، إلى مسائل اجتماعية وفلسفية، وتعد البنية السردية نقطة تناصية مهمة، فقد تستعمل أحياناً بنية المقالة داخل بنية النص الروائي.

يمكن القول إن المقامات، بوصفها فنًّا أدبيًّا، سبقت المنامات، فبينما وضع بديع الزمان مقاماته في القرن الرابع الهجري "٣٨٥" ووضع الحريري مقاماته الخمسين في نهاية القرن الخامس الهجري "٤٩٥-٥٠٤" فإن ركن الدين الوهراني وضع المنامات في القرن السادس الهجري، ويكاد الوهراني أن يكون مجهولاً لدى الأدباء في الوقت الحاضر، ويعود ذلك لقلة ما وصلنا من آثاره، فهي لا تتجاوز عددًا محدودًا من الرسائل والمنامات والمقامات، التي كانت عملية تحقيقها، تمهيدًا لنشرها، عملية صعبة نظرًا لاستخدام الوهراني كلمات عامية يصعب فهم معناها أحياناً، ولأن الوهراني كان يشير إلى كثير من أسماء معاصريه إشارات لا يعرف معها شخصية هذا المعاصر، إضافة إلى أن المؤلف لجأ إلى إعادة صياغة بعض المقامات "المقامة البغدادية"، والمنامات "المنام الكبير" بحيث وجد الباحثون نصًا واحدًا بروايتين مختلفتين.

وأود الإشارة إلى أن الدكتور صلاح جرّار، تأثر بفن المنامات إلى حدّ لا يتجاوز الأخذ بفكرة المنام وسرده كرؤيا تحمل في طياتها غاية ما، وكان أثر المقامات أبلغ وأكثر وضوحًا في المنامات الأيوبية.

إن أولى مظاهر تأثر الكاتب بفن المقامات كانت في استهلال المنامة ووجود الراوي والبطل فيها، فكان الهمذاني يستهل المقامة بقوله: حدثنا/حدثني عيسى بن هشام "وهو الراوي" قال....، ليحدثنا عن بطل المقامة وهو أبو الفتح الإسكندري، أما الاستهلال عند الحريري، فإنه على الأغلب، يبدأ المقامة بقوله: حكى الحارث بن همام، وهو الراوي في مقامات الحريري.. ليحدثنا عن حكاية بطلها أبي زيد السروجي، بطل مقامات الحريري، وهذا ما نجده ماثلاً في المنامات الأيوبية إذ نجد راوياً للمنامات وهو علقمة بن مرة الشيباني، ونجد لها بطلاً هو أبو أيوب الهندي، كما يستهل الكاتب المنامة بقوله: حدثنا علقمة بن مرة الشيباني قال....، ثم تنتقل الرواية إلى لسان أبي أيوب الهندي ليبدأ بقوله: رأيت فيما يرى النائم أو رأيت في المنام ليقدم لنا المنام/الحكاية ثم تنتهي المنامة باستيقاظ أبي أيوب الهندي بأوضاع مختلفة.

أما عن السمات الفنية التي امتازت بها المنامات الأيوبية: فنجد تشابهًا في بعض الخصائص بين المقامات والمنامات الأيوبية من حيث الشكل واللغة، فاستخدم الدكتور جرّار فنونًا بديعية كالجناس والمقابلة، ولكن ذلك لم يطغَ على المعاني كما في بعض المقامات، كما نرى السجع سجعًا خفيفًا، غير مبتذل، لم يتكرر لأكثر من جملتين متتاليتين، وأحيانًا ثلاثة، إلا في مواضع نادرة، مما أعطى اللغة إيقاعًا جميلا، ربما يخدم النص.

كما صاغ الكاتب مناماته بأسلوب السرد الذي يبدو جليًا في أسلوب المقامات أيضًا.

وقد جاءت المنامات قطعًا فنية موشاة بأبيات الشعر والآيات الكريمة والأمثال العربية، وجانبًا من الرسائل والخطب، وهي سمات نجدها في المقامات أيضًا. لكن المفارقة التي ساقت متعة خاصة لدى القارئ، تجلت في التراكيب اللغوية الواردة في المنامات، فبالإضافة إلى أصالة اللغة المستخدمة وفصاحتها وبيانها، نجد المنامات تزخر بأجواء عصرنا الحالي وبتراكيب لغوية ذات دلالات معاصرة من مثل "الاستنساخ، شبكات الحواسيب، الصحف اليومية، الفضائيات، مجلس الأمن، الإعلام، مؤتمر القمة، وغيرها.......".

إن ورود هذه التراكيب اللغوية والأحداث المعاصرة، إلى جانب الأجواء والأحداث التاريخية، ووضوح الألفاظ والعبارات، وسلاسة التنقل بينها، جعلت منها نصوصًا منسجمة، حالت دون شعور المتلقي بفجوات الزمن، وأعطت للعمل مزيدًا من المتعة والتشويق، كما أضفى الحوار حيوية كبيرة على النص.

عتبات النص في المنامات الأيوبية:

إن عتبات النص هي المدخل الطبيعي للولوج إليه، وعتبات النص هي الإرشادات التي تهيئ القارئ لتلقي النص وتوجهه إلى الطريق الصحيح للتلقي، كما أنها، أيضًا، بوابات التواصل التي تُمَكّن القارئ من الانفتاح على تركيب النص وأبعاده الدلالية، ومن جهة أخرى، فإن عتبات النص هي العناصر المؤطرة لبنائه، ولبعض طرائق تنظيمه؛ أي أنها تحمل في طياتها وظيفة تأليفية تحاول كشف استراتيجية الكتابة.

ويُعدُّ التجنيس -كما يرى حسن حماد- في "تداخل النصوص في الرواية العربية" العتبة الأولى لدخولنا

إلى النص، فهو الذي يساعد القارئ على استحضار أفق انتظاره، كما يهيئه لتقبل أفق النص، فإذا كان تجنيس النص من قبل المؤلف، مفيدًا لعملية التلقي، فإن غيابه يصيب القارئ بحالة من الحيرة أثناء هذا التلقي، وعليه أن يسعى لحلها، فتكون مهمته في هذه الحالة مهمة استنتاجية، إذ يحاول أن يستنتج الموقف التجنيسي للنص الكائن بين يديه.

ويظهر لنا أن الدكتور صلاح جرّار كان عالمًا بالصفة التجنيسية لنصه، فقد جنّس هذا النص وفق جنس المنامة، حتى ولو كان يريد تجديدًا يخالف جنس المنامة، ويمكننا أن نطلق صفة التجديد على هذا النص ذي الطبيعة الخاصة التي تحمل جماليات مختلفة.

إن أول العتبات النصية التي يمكن الوقوف عليها هي العنوان، الذي يكشف عن نية الكاتب وقصدية النص؛ فالنص يفاجئنا بأن له عنوانين؛ عنوانًا رئيسيًا في صدر الغلاف هو "المنامات الأيوبية"، وعنوانًا فرعيًا هو "إخبار الأنام بأخبار المنام"، وتشي ثنائية العنوان باستراتيجية كتابية وفكرية وتبنّي بدعة أدبية، ولاسيما أن هذه الازدواجية في العنوان تقوم بدورها المنوط بها، ويقدم العنوان وظيفته بوصفه علامة نصية، تساعد القارئ في تجنيس النص، وتفصح هذه الازدواجية عن نوايا النص بطريقة تفسيرية بل وبوظيفة توجيهية.

ويبقى السؤال عن سبب تصّدر العنوان الرئيسي "المنامات الأيوبية" واختيار "إخبار الأنام بأخبار المنام" كعنوان فرعي، فلم أزاح الكاتب هذا العنوان مثلاً من مركز الصدارة في حين احتل الآخر صدر الغلاف، وما الذي أكسب هذا العنوان الرئيسي سلطته وهيمنته في الظهور على الغلاف بكل وضوح، فهل هو ذاك العنفوان الذي يكتسبه العنوان الرئيسي الذي ينبع من محاولته إقناعنا بأن النص الذي بين أيدينا ينتمي إلى بنية النصوص المقامية "المنامية" فهذا العنوان المقامي يوهم بأنه علامة نصية دالة على انتماء النص ومواضيعه لدائرة المقامات.

لا شك أن الكاتب حاول خلق موضع جديد للمنامات داخل تراتبية النصوص في البنية النصية لمجتمعنا الحالي، ويمكن القول إن الكاتب قد وضع هذا العنوان المقامي كي يجذب انتباه المتلقي ويشدّه ويستدرجه ليقوم بالقراءة في حين يضمن الكاتب نصوصه أسلوبًا جديدًا لكتابة هذا الجنس المقامي الفريد الذي يتبنى السخرية فيه تقنية لها دوافعها التي تمنحها فجاجة الواقع المعيش؛ فقد كانت

هذه السخرية هي السلاح الذي تسلح به الكاتب في نقده للمجتمع، أي أنه استخدم النقد في مناماته إلى جانب السخرية، وهما معًا من شروط الإنتاج الأساسية للنص الروائي كما يرى معظم النقاد، وهما من الأسباب التي ساعدت الرواية على بلورة شكلها في أوروبا، ولعل هذا مسوِّغًا كافيًا يسمح لنا أن نطلق مسمى الرواية على هذا الإبداع، فهو وإن كان يحمل اسم المنامة إلا أنه في داخليته يلتقي مع الرواية في نقاط كثيرة.

وبالانتقال إلى عتبة نصية أخرى تتعلق بصناعة النص أو بعملية اختماره نجد أن الكاتب قد أوغل في استخدام التخييل كعنصر ملازم في معظم مناماته، ولا شك أن كتابة نص تخيليّ في العصر الحديث كان مغامرة كاملة، وقد تبناها عمالقة الأدباء في القرن الحديث مثل محمد حسين هيكل وتوفيق الحكيم ومحمد المويلحي، ونستطيع بكل قوة أن نضيف الدكتور صلاح جرّار كمغامر عظيم في هذا المجال، ومما لا ريب فيه أن الكاتب قد استطاع أن يدمج الشكل القصصي ومستلزماته من عناصر قصصية فنية مشوقة مع الشكل الروائي وما يتصل به من تداخلات متصارعة في حيز تكوينه مع النمط المقامي البسيط الذي يدور في فلك خلّاق حرّ متطور، وقد استطاع الدكتور جرّار التحرر من قيود السجع ومن رباط الكدية المقترنة بالمقامة، فقد ارتبط السجع بالوصف وزاوج الكاتب بين صيغتي السجع والأسلوب الحّر المرسل.

إن كتاب المنامات الأيوبية بما يحمل من تسلية وترفيه ومن رصانة بالكلام وفخامة بالألفاظ وبلاغة بالوصف وجمال في الأسلوب الفكاهي المحبب، إلى حرارة في النقد اللاذع المقصود، يكشف عن مدى ثقافة المؤلف وسعة اطلاعه بالجنس الأدبي الذي تناوله، هي ثقافة تؤكد انتماءاته الفكرية، وتخبر عن تنوع الروافد التي استقى منها هذه الثقافة وهذا الفكر وتلك الرؤى.

الهوامش:

١. تداخل النصوص في الرواية العربية الحديثة، حسن حماد، ص ٦٥.

٢. تداخل النصوص في الرواية العربية الحديثة، حسن حماد، ص٧٢.

٣. تيار الوعي في الرواية الحديثة، روبرت همفري، ترجمة د.محمود الربيعي، ص ٥٥.



هل كان حافظ إبراهيم شاعرًا شعبيًا ؟



جهاد علاونة *

حين كان حافظ إبراهيم ضابطًا في الجيش كان يتردد كثيرًا على مجلس المُغنّي عبده الحمولي في منطقة حلوان. وكان الشيخ إبراهيم اليازجي معجبًا جدًّا بحافظ إبراهيم إلى درجة الافتتان بشعره، وخصوصًا شعره الشفوي غير المكتوب. وأول ما سمع الشيخ اليازجي من شعر حافظ إبراهيم:

يا ساهر الليل هل للصبح من خبر

إني أراك على شيء من الضجر

وأننا حين نطلق على حافظ إبراهيم مصطلح شاعر شعبي نكون بذلك قد ظلمناه بعض الشيء لأن غالبية شعر حافظ هو شعر فصيح، ويحتفظ بالصبغة القديمة والقوالب القديمة للشعر وخصوصًا التراكيب البعيدة كل البعد عن التراكيب الحديثة التي تخلو من الألفاظ القديمة.

والشعر الذي يقرؤه طلاب المدارس والجامعات لحافظ إبراهيم ليس هو الشعر الشفوي الذي اشتهر به كشاعر شعبي، وقد قال عنه الشاعر والأديب الكبير عباس محمود العقاد:

الديوان الشفوي لحافظ إبراهيم أعلى في قيمته الأدبية من ديوانه المطبوع.

كان حافظ إبراهيم يحيا حياة ذات طابع شعبي من حيث المأكل والملبس والمشرب وهذا لا يعني أنه أديب شعبي فقط لمجرد أنه يحيا حياة الضعفاء، فهذا من الأخطاء الكبيرة التي وقع فيها بعض النقاد العرب. وقرأت ذات مرة عن حافظ

* كاتب وناقد - الأردن

إبراهيم أنه: حين أصابته وعكة صحية نصحه الأطباء بأن يرحل ويسكن في حي هادئ وراق جدًا لا توجد به ضجة ولا ضوضاء، ولا ترتفع به أصوات الباعة المتجولين، وقد فعل ذلك غير أنه عاد إلى السكن في حي شعبي ولذلك اشتهر أنه شعبي.

وهذا من الأخطاء التي وقع بها بعض النقاد العرب الذين لم يميزوا بين حافظ إبراهيم في الحياة العامة وبين حافظ إبراهيم الأديب. عاش حافظ إبراهيم حياة شعبية فعلاً غير أنه كان يكتب أدبًا غير شعبي والدليل هو ديوانه المطبوع وبالأخص قصيدته عن اللغة العربية التي يقول بلسانها:

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي

وناديت قومي فاحتسبت حياتي

رموني بعقم بالشباب وليتني

عقمت ولم أجزع لقول عداتي

وسعتُ كتابَ الله لفظا وآيةً

وما ضقت عن آي به وعظاتي

فكيف أضيق اليوم عن وصفِ آلةٍ

وتنسيقِ أسماءٍ لمخترعاتي

وهذا دفاع من الشاعر حافظ إبراهيم عن اللغة العربية ضد دعاة التغريب أو العامية العربية.

والشعر والأدب حين يُكتب بلغة ميتة وقديمة أو مهجورة يفقد صبغته الحية ويعبّر عن عدم انتماء إلى الواقع.

حافظ إبراهيم

إن الأدب الذي أصبح شعبيًا يمكن إرجاعه إلى أسباب أخرى غير الأدباء أنفسهم مثل: انتشار الطباعة وانتشار المقاهي التي تحول بعضها إلى صالونات ومنتديات ثقافية وروابط للكتّاب. فبفضل انتشار الطباعة انتشر التعليم الذي كان مقصورًا على النخبة الأرستقراطية، كما أن شرب القهوة كان متوقفًا فقط على الأرستقراطيين لأنهم كانوا يتمتعون بأوقات فراغ إضافية ولم يكن الناس والعوام يجدون وقتًا لشرب القهوة وتبادل الأحاديث. لقد كان ذلك فقط حكرًا على الباشوات، وحين انتشرت المقاهي أصبح الناس يجدون وقتًا لتبادل الأحاديث وشرب القهوة مع ما رافق ذلك من انتشار للصحف والمجلات الأدبية، ومن المقاهي التي كان الأدباء يجلسون إليها:

- قهوة الفيشاوي -في حي الحسين
- وكان يجلس إليها أساتذة الجامعة وصعاليك الصحافة
- بار الأنجلو

- بار اللواء
- صالة الحلواني – وكان يجلس إليها أحمد شوقي وخليل مطران وإسعاف النشاشيبي وفريق من شيعة شوقي والمنتفعين منه ماليًا
- قهوة الأدب
- قهوة اسبلندر وكان يجلس إليها شبلي شميل وكان أول عربي يتحدث فيها عن النشوء الارتقاء
- قهوة اسطنبول وكان يجلس إليها إبراهيم المويلحي وحافظ إبراهيم وغيرهم كثير وكثير

وأظن أن حافظ إبراهيم كان يعتز بحياته العامة المتواضعة إلا أنه كان لا يعتز بلغة العوام وكان يخجل جدًا من الشعر العامي الذي كان يكتبه.

ولقد رثاه أحمد شوقي بعد أربعين يومًا من وفاته بقصيدة رائعة لم يكن يتمنى بها الموت لحافظ، بل كان يتمناه لنفسه هو، وذلك طمعًا من شوقي في أن يرثيه حافظ بقصيدة جميلة. ولكن شاءت الأمور أن يموت حافظ ويرثيه شوقي بقصيدة مطلعها:

قد كنت أوثر أن تقول رثائي

يا منصف الموتى من الأحياءِ

وذلك سنة ١٩٣٢م

مختارات

أقوال العظماء في المرأة

- **المرأة في نظري خليط من الأشكال والألوان – بيكاسو**
- **المرأة مخلوق من الملائكة والبشر – بلزاك**
- **المرأة كالإعلان يحقق غايته بالتكرار – وول ديورانت**
- **المرأة أبهج شيء في الحياة – كونفوشيوس**
- **المرأة هي أكبر مُربّية للرجل، فهي تعلمه الفضائل الجميلة، وأدب السلوك ورقة الشعور – أناتول فرانس**

أدب مصاحب أم أدب مقارن؟!

يسري عبد الغني عبد الله*

تعني كلمة المقارن في اللغة العربية (المصاحب)، ففي المعجم الوجيز الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة: قرن الشيء بالشيء، والشيء إلى الشيء، وبين الشيئين أي جمع.

وقارنه مقارنة وقراناً أي صاحبه واقترن به، وقارن الشيء بالشيء أي وازنه، ومن هنا قيل: الأدب المقارن، أو التشريع المقارن. واقترن الشيء بغيره: اتصل به وصاحبه، وتقارن الشيئان تلازما.

وفي لسان العرب لابن منظور، وفي مادة (قارن): قارن الشيء بالشيء مقارنة وقراناً، أي قرنه به، وجعله مصاحباً له، وقارن الشيء بالشيء اقترن به وصاحبه.

وعلى هذا فالمقارن في أغلب معاجم اللغة هو المصاحب، وهو يقتضي المعاصرة الزمنية للشيئين المصاحبين أو المقترن أحدهما بالآخر.

وهذا المدلول لا يتفق. من وجهة نظرنا . مع الموازنة المعروفة لدينا في كتب الأدب العربي.

وعليه؛ فالصحيح أن نقول: الأدب الموازن، ففي معاجم اللغة العربية، في مادة (وزن) نجد: وازن بين الشيئين موازنة ووزاناً، أي قابل بينهما للمفاضلة والترجيح، ووازن الشيء بالشيء أي ساواه وعادله في الوزن، ووزنه أو وازنه تعني عادله وقابله وحاذاه.

وذلك بالطبع دون النظر إلى الفارق الزمني، ومن هنا وردت عدة مؤلفات في الأدب العربي مستعملة كلمة الموازنة، وذلك مثل كتاب: (الموازنة بين أبي تمام والبحتري) للآمدي، وكتاب: (الوساطة بين المتنبي وخصومه) للقاضي الجرجاني.

وفي الموازنات الأدبية تعقد الموازنة بين طرفين لبيان أو لإظهار ما قال أحدهما

* باحث ومحقق للعديد من كتب التراث العربي – القاهرة – مصر.

في أحد الموضوعات، وما قاله الآخر في الموضوع نفسه، مع إظهار ما جوّد كل منهما فيه، وما أخذه الأول عن الثاني، وما قصّر فيه أحدهما عن الآخر.

ولم يلحظ في ذلك الفارق الزمني أو التأثير من تغيير وتبديل نتيجة لفعل التطور التاريخي.

ولما كانت الموازنات الأدبية تتم بين أطراف غير متزامنة، وفي ظروف مختلفة، عُدّت كلمة المقارن غير صحيحة في هذا المضمار، وأن التسمية (الأدب المقارن) تسمية مغلوطة أو غير سليمة، والصواب أن نقول: (الأدب الموازن).

ورغم أن فقهاء اللغة أو أغلبهم في العصر الحديث يوافقون على ذلك، إلا أن تسمية الأدب المقارن أصبحت هي الشائعة والمعروفة والمتداولة بين الباحثين في الآداب، كما أنها اشتهرت واستعملت، وكأن لسان الحال يقول: خطأ معروف ومستعمل أفضل من صحيح مهجور إبراهيم السامرائي، فقه اللغة المقارن، ص ١٨٣ . ١٨٤، بتصرف

وقد تنشأ المقارنات الأدبية نتيجة لقراءة رواية أدبية أو مسرحية أو قصيدة شعرية من أي نوع، ومقارنتها بغيرها من حيث الفكرة والأسلوب والشكل والنواحي الفنية الأخرى، وقد يستعان على ذلك بما كُتب حول هذه الألوان الأدبية من مقالات أو أبحاث أو مؤلفات أو دراسات.. إلى غير ذلك من مرجعيات تُثري رؤيتنا وتفيد مقارنتنا في هذا المجال.

ويمكن أن تتطرق المقارنة إلى قراءة السير الذاتية لمؤلفي هذه الأعمال الأدبية التي نحن بصددها، فندرس حياتهم من جوانبها المتعددة، ونُجري المقارنات بينهم من ناحية الشهرة وعدمها.

وقد ندخل من هذا إلى العصور أو الفترات الزمنية التي عاشوا فيها، ونُحلّل أسرار نبوغهم وتفوقهم في إبداعهم الفني الأدبي، والعوامل التي أثّرت فيهم، كل ذلك يتمُّ في ظل ما يعرف بالتاريخ الأدبي الذي يردُّ الأثر الأدبي ومؤلفه إلى الزمان والمكان.

وقد تُدرس مؤلفات هؤلاء المبدعين دراسة تُثبت ما يُنسب إليهم منها وما لا يُنسب، ويُوضّح سبب تأليفها وأصولها ومصادرها، والمراحل التي مرت بها إلى أن وصلت إلى أيدي القرّاء.

كما أنه من الممكن دراسة أسلوب كل منها ومضمونها، وعملية التأثير والتأثر بها، وبذلك نضع العمل الأدبي في مكانه الصحيح بين أنواع الأدب أو أجناسه، أو بين صور الفن الأدبي بوجه عام.

ويتضح للباحث أو الدارس من هذا كله التأثيرات التي خضع لها المُبدع في عمله، أو التي أحدثها ويُحدثها في غيره

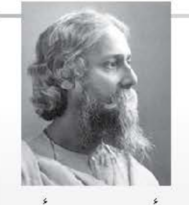
من المبدعين، بالإضافة إلى المصادر التي اعتمد عليها والموضوعات أو الأفكار أو الأشكال الفنية التي قد يكون اقتبسها من غيره بشكل أو آخر.

نقول: إن التقليد إذا انحصر في نطاق أمة واحدة ولغة واحدة، لن يكون وافر الخصوبة، وإنما تبرزُ قوّة الأدب عندما يتصل بالآداب الأخرى وينفتح عليها، يأخذ منها ويعُطيها، يُؤثّر فيها ويتأثر بها، ولا ضرر ولا ضرار في ذلك، فالأدب الإنساني كائنٌ حيّ يفعل ويتفاعل، وأي نوع من أنواع الأدب ينعزل أو يتقوقع أو ينكفئ على نفسه بعيداً عن التواصل، يكون مصيره التجاهل والنسيان، بل الفناء والتلاشي.

فإن درسنا التأثيرات داخل الأدب العربي أو الأدب الفرنسي مثلاً، نجدها تأثيرات داخلية، وكأننا ندور في دائرة واحدة، أو بمعنى آخر نتجول في بيتنا الذي نحفظ معالمه عن ظهر قلب. أما إذا كان التأثر والمحاكاة للآداب القديمة اليونانية أو اللاتينية أو العبرية مثلاً، كان من الممكن لنا قراءة هذا التأثر في اللغات القديمة عن طريق الترجمة.

أما اتصال المبدعين بمبدعين محدثين أو معاصرين من أمم أجنبية فإن ذلك يحتاج من مؤرخ الأدب إلى معرفة عدة لغات أجنبية، وكذلك الإلمام بعدة آداب، وهكذا تمتد مهمة مؤرخ الأدب أو المقارني إلى غير نهاية فان تيجم، ص ٦ . ١٥، بتصرف

مختارات



طاغـــور

فيلسوف وحكيم هندي، وُلد عام ١٨٥٧ في القسم البنغالي من مدينة كلكوتا، وتلقى تعليمه في بيت أسرته على يد أبيه ديبيندرانات وأشقائه ومدرس آخر يدعى دفيجندرانات الذي كان شاعرًا وكاتبًا مسرحيًا.

درس طاغور اللغة السنسكريتية وآدابها وكذلك اللغة الإنجليزية، ودرس رياضة الجودو. وأنشأ مدرسة فلسفية معروفة باسم فيسغابهاراتي أو الجامعة الهندية للتعليم العالي عام ١٩١٨ في إقليم شانتي نيكتان غربي البنغال.

كان طاغور من المؤمنين بالإنسانية ومحبتها ونبذ العنف والتعصب الذي كان سائدًا بين الطوائف والأديان في الهند. وكتب هذه الآراء في مؤلفاته وهي ديوانه الشعري المسمى "جيتانجالي" أو القربان الشعري. ورواية "جورا" ومسرحية "كتب البريد".

وقد فضحت روايته التعصب الهندوسي، مما سبّب استياء أهله فسافر إلى بريطانيا عام ١٩٠٩، وعمّت هناك شهرته بعد ترجمة أعماله إلى الإنجليزية.

كما اختلف طاغور مع الزعيم الهندي غاندي الذي اعتمد بساطة العيش والزهد كسلاح لمقاومة الاحتلال البريطاني، ورأى طاغور في هذا تسطيحًا لمفهوم المقاومة.

توفي طاغور عام ١٩٤١ عن ٨٤ عامًا، وقد نال جائزة نوبل في الآداب عام ١٩١٣.

درب الواعدين

- **نوال حسن سليمان سليم - عمّان**

- "حديث القلم" المرسلة من قبلك تدّل على رغبة في الكتابة الأدبية، وفكرة الحوار بين الكاتبة وقلم الحبر الذي تكتب به فكرة جميلة، لكن من الضروري تقديم الفكرة بأسلوب مشوّق، فيه شيء جديد، فالنصائح التي قدمها القلم لصاحبته لا تختلف عن النصائح التي يقدمها أي صديق لصديقه.

مزيد من القراءة الجادة للأعمال الأدبية رفيعة المستوى في مجال القصة والرواية عربيًا وعالميًا سيكون مفيدًا في تطوير أساليبك الكتابية.

من حديث القلم نقتطف:

"قلمي يا قلمي، هيا بنا نخطّ مع بعضنا رحلة الألم، ألا تريد؟ ما بالك يا قلمي؟ أجفّ حبرك مثلما جفّ الدمع. وقسا القلب أم لم تعد تريد أن يذهب حبرك سدى، هيا تكلّم: القلم: نعم، لم أعد أريد أن أكتب كلمات لا قارئ لها ولا جدوى منها، حتى ألمك وحزنك لا يهتم به أحد أو يلقي له بالا.."

- نرحب بك وبنتاجاتك القادمة التي نرجو أن تكون أكثر نضجًا.

- **مهيب الحافظ – الجامعة الأردنية**

- المواد التي وصلت منك "لدموعهم حديث آخر"، "لعيونك أمي أُغنّي"، "كن تلك العاصفة"، وغيرها من المواد. تحمل تباشير طيبة، تدل على رغبة في الكتابة الأدبية، وعلى وجود موضوعات وأفكار في ذهنك تبحث عن صيغ للتعبير. قد لا تكون الموضوعات ناضجة كليًا من ناحية الصياغة واللغة والأسلوب، وقد لا تكون واضحة المعالم كجنس أدبي محدد (قصة، أو شعر...الخ). لكن مع ذلك، البدايات غالبًا ما

تكون هكذا. فهي براعم. لابد أن تتفتح مع الزمن لتكشف عن نفسها بوضوح ونضج. بالمثابرة، والقراءة، والاطلاع على الأعمال الأدبية رفيعة المستوى، يتحقق النمو، والتطور.

- نرحب بك وبنتاجاتك القادمة.

- **ماهر القيسي – عمان**

المواد المرسلة من قبلك تعكس رغبتك في الكتابة، وما نقوله: هو إن محاولاتك الأولية المتمثلة في هذه الكتابات، ما هي إلا تمرين وتدريب على فن التعبير الأدبي، وإن المطلوب هو الاستمرار في المحاولة من أجل كتابة شيء مختلف، وأكثر نضجًا. مع ضرورة الاطلاع، والقراءة الجادة والاعتناء باللغة.

- نُرحب بك وبنتاجاتك المقبلة التي نرجو أن تكون مناسبة للنشر.

- **رانيا دروزة – الأردن**

- "مفاتيح البحر"، "ترحال الحبيب"، "مقطع من رواية"، المرسلة من قبلك، هي محاولات على طريق الكتابة الأدبية التي تحتاج إلى الكثير من الجهد والمتابعة، واكتساب الخبرات والمهارات الضرورية. وأولها بالطبع إجادة اللغة العربية وقواعدها. والاطلاع بشكل دائم على الأعمال الأدبية الرفيعة المستوى في الشعر والقصة والرواية.

ويستحسن في هذه المرحلة أن يتم التركيز على اللغة، ومحاولة كتابة مقطوعات قصيرة ومركّزة ومدروسة جيدًا، وعدم الاقتراب من الرواية.

- نُرحب بك وبنتاجاتك المقبلة التي نتمنى أن تكون أكثر نضجًا.

أصداء المجلة

أصداء المجلة

● الأستاذ الدكتور محمد هشام سلطان من جامعة آل البيت، أرسل رسالة للمجلة يُعقّب فيها على زاوية "تأملات" التي يكتبها مدير التحرير عزمي خميس في العدد الثالث بعنوان "اللغة العربية والعصر" بقوله: لقد أعجبتني تأملاته وأسأل الله أن يوفقه وأمثاله من المدافعين عن لغة العرب بكل قوة وشجاعة، لكونه لا يدافع عن اللغة فقط، وإنما يدافع عن الأمة العربية وعن الأمة الإسلامية في ظل التقهقر الثقافي والعلمي.

ويضيف الدكتور سلطان قائلاً: ما أجمل كلمة الكاتب "لا يمكن أن ينهض شعب يستهين بلغته" وأقول معه لا يمكن أن تنهض أمة لا تفهم لغتها، ولا يمكن أن تنهض أمة لا تفكر في أن تُحيي لغتها ولو واجهتها كل الصعاب، والأمم العظمى هي التي تحمي لغتها لو كانت ميتة، وفي إحياء اللغة إحياء للتاريخ والحضارة والفكر والوجود.

● الأستاذ وليد صالح معابرة من جامعة آل البيت، بعث للمجلة رسالة يقول فيها: أتوجه بتحية خالصة إلى أسرة مجلة "أقلام جديدة" ولكافة العاملين في هذه المجلة الغراء عامة، ولرئيس التحرير خاصة، أستاذ الأجيال والكلمة الصادقة الأستاذ الدكتور صلاح جرار.

ويضيف: بودي أن أُقرّ وأعترف بأن عدد مجلتكم كان لي خير زائر في ذلك الصباح منذ إشراقة الشمس، ويبقى هذا الزائر يسعدني ويمتعني خلال مشواري مع النهار حيث عشت معه الكلمة الصادقة والمعلومة المفيدة.

ومع غياب الشمس أمسك قلمي الصغير لأكتب لكم ما يجول في خاطري ونفسي مما يجعلني في قمة سعادتي لأنني بقلمي الصغير وبكم ومعكم أعبّر عما أريد، فشكرًا لكم، وكلّي أمل أن أبقى معكم في بداية ليس لها نهاية.

- السيدة سناء دبابنة، بعثت برسالة للمجلة تقول فيها: لا استطيع وصف فرحتي بصدور مجلة "أقلام جديدة" وما جاء في أعدادها؛ فنحن على عهد متواصل بأن تضاء شموع الثقافة، وتتوقد المعرفة نورًا، في زمن كدنا ننسى فيه مصطلح (الأدب الرفيع)، ولكن دائمًا هناك على طول المدى، من يفكر بنا، وبتوسيع أفقنا وتغذية روحنا بجرعة ثقافية، وأرى أنها تجربة رائدة، فما جاء في الصفحات ليس لتعبئة فراغ، وإنما ليزيد شوقنا من صفحة لأخرى، وننهل من موضوع لآخر وننتظر بشوق، شهرًا قادمًا لصدور عدد آخر.

وتضيف أن هذا المشروع يجعل الثقافة تتخطى الحرم الجامعي، لتخدم المجتمع بأكمله ونحن على تواصل بإذن الله من خلال "أقلام جديدة".



فيروز...

موهبة الصوت الملائكي

غازي انعيم*

شهد منتصف القرن الماضي ولادة موهبة مزجت بين العفوية والإتقان.. وبصوتها المخملي الرائع وبأسلوبها المميز وأدائها الساحر، أحدثت تغييرات أساسية في مسار الأغنية والموسيقى الشرقيتين، وأضافت عناصر جديدة كل الجدة، كان لها أكبر الأثر في بعث ذائقة جديدة عند عموم أبناء المنطقة العربية، الذين وجدوا في هذا الغناء وفي صوتها الدافئ ذي الخصائص الجمالية والمضامين الإنسانية الرائعة لأغانيها، مواصفات خاصة من حيث الأداء، ومن حيث الموسيقى والمضمون والشعر.

ازدهر تأثير "فيروز" في العالم العربي مع التأثير المتنامي لأماني التحرر والديمقراطية والعدل... فأغانيها التي كتبها كبار الشعراء العرب، كانت منسجمة مع الاتجاهات الاجتماعية والسياسية التي تسود العالم العربي، وكثيرًا ما عبرت عن المشاعر العربية المشتركة على نحو واسع...

* ناقد وتشكيلي أردني.

في هذه المقالة نلقي الضوء على ملامح سيرة فيروز التي تألقت في مرحلة الطفولة ومرحلة الشباب ولا زالت... لتكون سيرتها وتاريخ إنجازها ... معنى ودلالة وحافزًا للجيل الجديد.



• البيئة والنشأة:

ولدت نهاد وديع حداد "فيروز" في ٢١/١١/١٩٣٥م، في مسكن متواضع في محلة زقاق البلاط على أطراف مدينة بيروت وكان والدها يعمل في مطابع جريدة "لوجور"، وفي ذلك الحي الفقير قضت فيروز طفولتها الأولى تلهو مع أترابها لهوًا من النوع الذي لا يكلف الأسرة مالاً، مثل لعبة القفز على الحبل، ولم يكن بمقدور أسرة "نهاد" -المتواضعة الحال والمكونة من والدها ووالدتها وإخوتها الثلاثة، الذين يعيشون في غرفة واحدة مع مطبخ صغير يتشاركون في أدواته مع الجيران وقتذاك- شراء الدمى أو الحلوى.. أو حتى شراء مذياع.. ذلك الجهاز السحري الذي اعتادت "فيروز" سماع صوته السحري الآتي من بعيد عبر نافذة المطبخ حاملاً أصوات "أم كلثوم، عبد الوهاب، أسمهان وليلى مراد".

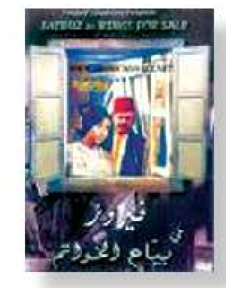
كانت "نهاد حداد" في تلك الأيام تطيل عملية غسل الأطباق وتطيل المكوث في المطبخ قدر ما تستطيع ليتسنى لها الإصغاء إلى الأغاني وحفظها.. بعد ذلك حظيت بفرصة الالتحاق بالمدرسة، وكان حلمها بأن تصبح معلمة، ويكون لديها دخل يمكنها من تجاوز الفقر ومعاونة والدها على حمل أعباء الأسرة الصغيرة، لكن ما جذب الانتباه لها في المدرسة وهي في العاشرة من عمرها هو صوتها، فقد كانت سماته الفريدة تُحوّل



الأناشيد الوطنية الدارجة إلى شيء مدهش آسر.

تذكر "نهاد" أنها استدعيت مرة إلى مكتب مديرة المدرسة، فإذا هي تستضيف "محمد فليفل" الذي وضع مع أخيه لحن النشيد الوطني السوري.. كان فليفل وشقيقه حينذاك يُحضّران لتقديم برنامج غنائي في الإذاعة اللبنانية، المؤسسة حديثا، وكانا يبحثان عن أصوات شابة، فطلب من "نهاد" أن تُغني، وغنت نشيدًا من أناشيد المدرسة، فراق الأستاذ فليفل صوتها فطلب منها الالتحاق بمعهد الموسيقى اللبناني، وعند مفاتحة والدها، الذي ينتمي إلى بيئة محافظة، بوقوع الاختيار على ابنته للغناء بكورال الإذاعة، كان مستاءً من فكرة غنائها للعامة، لذلك رفض الأب في البداية منح موافقته "لفليفل"، الذي راح يطمئنه بأنها لن تُغنيّ إلاّ ضمن كورال الإذاعة، وأنها سوف تشارك في غناء الأغاني الوطنية فقط، وأنه -فليفل- سوف يتحمل نفقات تعليمها في المعهد. وظل يلح مع بعض المعارف والمقربين على الأب حتى نجح في الحصول على موافقته، لكن شريطة أن يرافقها أخوها جوزيف أو أمها إلى حيث تذهب.

لقد فتح الأخوان "فليفل" أمام "نهاد حداد" نافذة واسعة على عالم جديد وجدت فيه مجالا لتحقيق أمنياتها، وأهمها في ذلك الوقت انتسابها لمعهد الموسيقى الذي كان يرأسه "وديع صبرا" ملحن النشيد الوطني اللبناني، الذي رفض تقاضي أي مبلغ منها، حتى أنه تبنّى صوتها لإيمانه بأنه جوهرة نادرة.. وكان أبرز ما أفادها به هو تعليمها تجويد القرآن الكريم، فهذا هو الأسلوب الأكثر فعالية في ضبط مخارج الألفاظ والتمرس بموسيقى اللغة في التراث العربي، ولعل ذلك هو ما عزز القاعدة الموسيقية الرحبة لصوتها وجعله قادرًا على الجمع بين الأداء الطقوسي الكنسي والغناء العربي التقليدي.



استمرت دراسة "نهاد" في معهد الموسيقى أربع سنوات، وبعد ذلك استدعيت للقاء مدير الإذاعة "أسعد الأسعد"، وطلب منها أن تُغنيّ أمام لجنة الاستماع المؤلفة من: الفلسطيني حليم الرومي، وخالد أبو النصر، ونقولا المني وآخرين،

وغنت بمصاحبة عود حليم الرومي "يا ديرتي" لأسمهان، وأذهل صوتها الرومي حتى أنه توقف عن العزف مندهشًا في منتصف الأغنية.. وواصلت "نهاد" تألقها فغنت مطلع "يا زهرة في خيالي" لفريد الأطرش، وأثناء أدائها، دخل عاصي الرحباني أحد عازفي الكمان في فرقة الإذاعة الموسيقية، وبعد الانتهاء من الغناء، أحاط بها أعضاء اللجنة مُهنئين مُشجعين، مُبدين تقديرهم لصوتها الفريد.

هكذا اختيرت "نهاد حداد" مغنية في جوقة (كورال) الإذاعة، مقابل مبلغ ١٠٠ ليرة في الشهر وكانت فرحتها لا تُوصف عندما قبضت الراتب الأول، لأنها كانت المرة الأولى التي ترى فيها ورقة نقدية من فئة الـ ١٠٠ ليرة. فهرعت بذلك المبلغ إلى السوق لشراء ما تحتاجه العائلة من مأكل وملبس. تقول فيروز عن تلك اللحظة: أردت أن أعوّض إخوتي عن الحرمان.

في هذه المرحلة درست "نهاد" أسلوب غناء كل واحد من أفراد الجوقة، وكثيرًا ما كان يُطلب منها أن تحل محل مُغنّية تأخرت أو عجزت عن الأداء الصحيح، فقد كانت تمتلك إحساسا فنيًا عاليًا وذاكرة ثاقبة.. وهكذا سرعان ما باتت تؤدي بشكل انفرادي، وعلى نحو أثار إعجاب "حليم الرومي" الذي لحّن لها في الأول من ابريل عام ١٩٥٠م، أول أغنية لها "تركت قلبي وطاوعت حبك"، وعند التحضير لبثّ الأغنية، اقترح "حليم" على فتاته التي كانت تحمل اسم "نهاد" اسمًا فنيًا وترك لها حرية الخيار بين "فيروز" و "شهرزاد"، وفي البداية لم تأخذ "نهاد حداد" الأمر على محمل الجدّ، لكنها عملت بنصيحة "حليم" واختارت اسم "فيروز".

وكانت أغنيتها الثانية باللهجة المصرية، أما الأغنية الثالثة "عاشق الورد" فقد غنتها مع "حليم الرومي" نفسه كثنائي، وتبع ذلك العديد من الأغاني القصيرة الخفيفة التي اجتهد "الرومي" في أن تكون مختلفة المشارب، في محاولة لتجنب حصر "فيروز" في نمط غنائي واحد، الأمر الذي دفعه إلى تشجيعها على التعاون مع غيره، لأن حسّه جعله

يُوقن أن اللون المصري الذي برع فيه ليس هو اللون الذي تحتاجه "فيروز"، وأنه لن يصنع منها شيئًا متفردًا، لهذا طرح عليها في عام ١٩٥١م، أن تعمل مع "الرحابنة"، فقالت لحليم الرومي بنبرة فيها التردد والخوف والحيرة -ربما تأثرًا بعدم حماسه لها خلال اللقاء الأول بالإذاعة-:

- لماذا بالذات عاصي الرحباني وليس غيره، وعاصي لديه صوت شقيقته سلوى!

- فأجابها حليم الرومي: الملحن لا يحتكر صوتًا واحدًا، بل تهمه الأصوات الجديدة، المهم أن تحصلي على لحن جديد، ونجح الرومي في إقناعها، وكان رأي "عاصي" الأولي أن صوتها مناسب لغناء الأغاني الشرقية وليس الأغاني العصرية، التي كان مهتمًا بها.. واحتج "الرومي" مُوضّحًا أن صوتها غير محدود الإمكانات، وهو قادر على أداء الأغاني الحديثة والأغاني الفلكلورية، ووافق "عاصي" في النهاية على التلحين لها. وكانت أول أغنية لحنها لها "الرحابنة" قصيدة "غروب" للشاعر "قبلان مكرزل"، وهنا كانت البداية لسيدة قدرها أن تشع كالنور وتتلألأ كالجوهرة النادرة وتملأ الدنيا أغنيات وحبورا.

• إلى إذاعة الشرق الأدنى

بعد عام من العمل في الكورال، انتقلت "فيروز" إلى إذاعة الشرق الأدنى، وحينذاك كان همّ "الرحابنة" خلق موسيقى لبنانية ذات هوية واضحة فجاءت الأغاني الراقصة مثل: "نحنا والقمر جيران"، وأغانٍ فولكلورية بإيقاعات راقصة مثل "البنت الشلبية"، وأغان من الحكاية الدرامية أو "القصة القصيرة"، مثل "وقّف يا أسمر.. في إلك عندي كلام". وخضع صوتها للكثير من التجارب، فغنت الألوان الأوروبية ثم الشرقية الصعبة، ومع مختلف الأوركسترات، لتحصل على خبرة لم تحصل عليها مطربة من قبل.

هكذا هيأ صوت "فيروز" للرحابنة انطلاقة فيروزية المذاق قبل أن يتطور الأمر إلى أغان خالصة التأليف والتلحين للأخوين "رحباني"، وتشكلت على نحو واضح هويتهما الفنية كموسيقيين لبنانيين.

في عام ١٩٥٢م، جاءت الأغنية التي

زواج فيروز من عاصي

شكلت علامة فارقة في تاريخها الفني، فبين ليلة وضحاها صنعت أغنية "عتاب" التي سجلت في ١٢ نوفمبر ١٩٥٢م في إذاعة دمشق، ثم أغنية "بلمح ظلال الحب في عيونه" و "غروب" و "قوي حبك"، من "فيروز" مطربة كبيرة في العالم العربي.

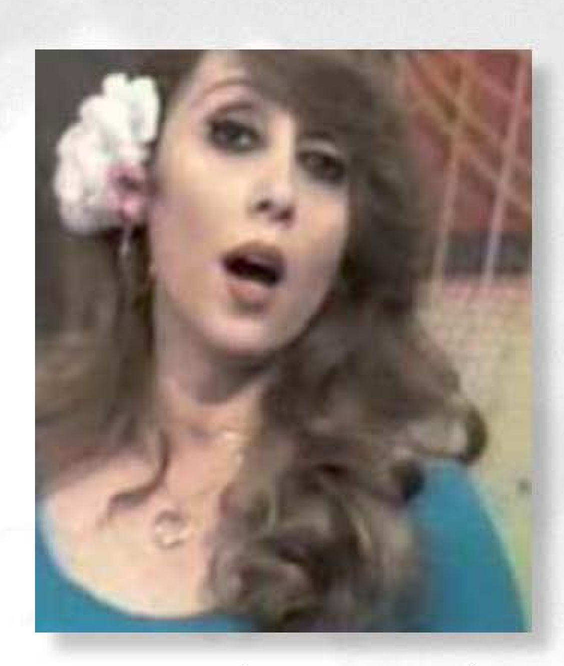
وفي الخمسينيات، بدأت الصداقة تتطور بين "عاصي" و "فيروز" من ملحن وتلميذته المغنية إلى إعجاب واستلطاف ولقاءات تحت شجرة قرب بركة ماء في الفناء الخلفي لاستوديو الإذاعة يدردشان لتمضية الوقت، بانتظار أن يأتي دورهما لتقديم فقرتهما بشكل حيّ وعلى الهواء مباشرة دون تسجيل مسبق، وعندما كان يحاول أن يعرف أحاسيسها ومشاعرها نحوه، كانت تجيبه بأنها تريد أن تصبح معلمة مدرسة لتساهم في انتشال عائلتها من الفقر والفاقة، وكثيرًا ما ردت على تلميحات عاصي بأنها لن تتزوج في حياتها أبدًا.

لكن فيروز وقعت في حب عاصي، ثم تقدم لخطبتها، وبعد ذلك أقيمت الأفراح لهما في ١٩٥٥/١/٢٢، ولم يكن زواجها محطة راحة وبحث عن ملذات الحياة، بل بداية لمشوار الصعود إلى أعلى القمم، وإذا كان لكل إنسان قدر، فقدر فيروز أن تحمل هموم وأعباء الأم المثالية وقلق الفنانة التي تعرف أن الفن رسالة حب وجمال وعطاء.

سرّ فيروز أنها تملك كنزًا تهبه لكل الناس وهي تُنشد أغنياتها...

وبعد فترة من الزواج، تلقت "فيروز" والأخوين "رحباني" -عاصي ومنصور- دعوة من إذاعة "صوت العرب" لزيارة القاهرة، فلبوا الدعوة، وهناك التقوا بـ "أحمد سعيد" مدير إذاعة صوت العرب، الذي وقَّع معهم عقدًا لتقديم أغانٍ وأناشيد وبرامج لمدة ستة أشهر.. وفي تلك الفترة قدما "النهر العظيم" و "راجعون" التي تحكي قضية الفلسطينيين المشردين بصوت "فيروز" و "كارم محمود" والكورس.

بعد ذلك بدأت "فيروز" تعمل، وتكسب، وبدأ انتشارها مع أغانٍ مثل "عتاب" و "راجعون" وحصلت على الشهرة في كثير من بلدان العالم العربي، وفي عام ١٩٥٦م، توقفت إذاعة الشرق



الأدنى عن البث، بعد أن قاطعها الكثير من الموسيقيين اللبنانيين -بمن فيهم الرحابنة- استنكارًا لموقفها المنحاز للعدوان الثلاثي على مصر، ويومها قام "صبري الشريف" المدير الفني لأعمال "الرحابنة" بنقل أنشطتهم إلى إذاعة دمشق، التي كان لها فيما بعد دور كبير في انتشارهم.

وفي عام ١٩٥٧م، صدح صوت "فيروز" العذب أمام الجمهور السوري في دمشق، وأشعل خياله بمشاعر الحب والحنين والأحلام والذكريات، وغنّت قصيدة بردى "وداد" (شعر الأخطل الصغير)، "مشوار" (شعر سعيد عقل)، "من نعمياتك لي" (شعر بدوي الجبل)، و "نحنا والقمر جيران" وأيضًا أغنية عتاب.

في صيف عام ١٩٥٧م، كان أول لقاء حي لفيروز مع أكبر حشد على الإطلاق -قُدّر بعشرة آلاف- في حفلة أقيمت في معبد "جوبيتر" في بعلبك، وتحت قمر بهيئة هلال، عمد المخرج "صبري الشريف" إلى إغراقها من أسفل بضوء أزرق من اتجاهات مختلفة حتى بدت كأنها تسبح في الفضاء، كان المشهد ساحرًا للجمهور، وعندما بدأت بالشدو "لبنانِ يا أخضر حلو" اشتعل الناس تصفيقًا، مفتونين في موجة من التأثر والبكاء والغبطة.

مع توقف إذاعة الشرق الأدنى ودخول الرحابنة "شركة التسجيلات اللبنانية" (لارك)، جاءت المسرحيات الغنائية الطويلة بمثابة الفرصة الكبرى في حياة فنانة تواجه الجمهور وجهًا لوجه غناءً وتمثيلا -مرة واحدة في السنة على الأقل في بعلبك ثم في دمشق- فتغدق عليه من أعماق انفعالاتها الصارخة للحب والحرية والإيمان، فيعانق صدى صوتها بالفرح والامتنان والدهشة. ومن ذلك الوقت تطور الأمر رويدًا، رويدًا إلى إبداع مسرحيات غنائية ضخمة وأكثر

قيمة وتأثيرًا.

بشّر عام ١٩٦٠ بولادة عصر جديد في مسيرة الرحابنة، فقد بُدئ بتقديم المسرحيات داخل لبنان وخارجه، في مهرجانات بعلبك والأرز وقصر بيت الدين ومعرض دمشق الدولي، بدءًا من: (موسم العزّ، والبعلبكية، ولولو، وجسر القمر، وهالة والملك، والشخص، وصحّ النوم، وناطورة المفاتيح، والليل والقنديل، وبياع الخواتم، وأيام فخر الدين، ودواليب الهوا، وجبال الصوان، وناس من ورق، والمحطة، ويعيش يعيش، وميس الريم، وبترا).

وقد لعبت فيروز الدور المحوري في تلك الأعمال المسرحية، وكانت العامل الأساسي الأول للنجاح.

ومثلما أحب الناس فيروز وهي تغني وتمثل على خشبة المسرح، أحبوها أيضًا في أفلامها الثلاثة "بياع الخواتم" من إخراج "يوسف شاهين"، وعرض في المهرجان السينمائي الذي أقيم العام ١٩٦٥م في لبنان، و"سفر برلك" و "بنت الحارس" من إخراج "هنري بركات"، وقد لعبت فيروز في الأفلام الثلاثة دور البطولة وقدمت فيها مجموعة من أغانيها.

غنّت "فيروز" في الفيلم الأخير قصيدة الأخطل الصغير: "يا عاقد الحاجبين" كما غنت: "نسّم علينا الهوى".

القضية الفلسطينية

قدمت فيروز، أحد عشر عملاً غنائيًا عن القضية الفلسطينية، عبّرت من خلالها عن مفردات شتى، واختزلت فيها صورًا ووقائع وأحداثًا، بطرق مختلفة ومجددة بدءا بتركيزها على معاناة التشرد واللجوء والانتظار كما في أغنيات "غاب نهار آخر"، "احترف الحزن والانتظار"، "يا ربوع بلادي"، "يافا"، "بيسان".

فيروز استطاعت أن تُحقق في بعض أعمالها فتحًا جديدًا في مجال الأغنية الوطنية

وحظيت القدس باهتمام مميز في سجل أغانيها، وبشكل خاص بعد زيارة الأخوين رحباني وفيروز لها عام ١٩٦٤م، وكانت هذه الزيارة مُحرّضًا أساسيًا لمجموعة أغنيات صدرت لاحقًا، منها الأغنية التي حملت عنوان "القدس العتيقة" وقد

صُوّرت للتلفزيون اللبناني عام ١٩٦٦.

وعقب سقوط مدينة القدس عام ١٩٦٧م، قدمت فيروز أغنيتها الشهيرة "زهرة المدائن"، وهناك أيضًا الأغنيات التي تحدثت عن حلم العودة مثل: "العودة، الرجوع، راجعون، سنرجع يومًا، أجراس العودة، جسر العودة"، وتبقى الأخيرة هي الأكثر تعبيرًا عن هذا الحلم، وتأكيدًا وإصرارًا على إذكائه.

والـلافت أن فيروز استطاعت أن تُحقق في هذه الأعمال فتحًا جديدًا في مجال الأغنية الوطنية، وبشكل خاص في الأغاني ذات الطابع الحماسي المليء بالحيوية كما في أغنية "أجراس العودة" و "سيف فليشهر".

هذه هي حكاية مسيرة فيروز من الطفولة إلى الشباب.. لكن تبقى حكاية فيروز المطربة في صوتها حكاية طويلة لا يعرف أدق أسرارها إلا ليل فيروز وسهرها الطويل مع الوحدة وذكرى الغياب.. وسرّ فيروز أنها تملك كنزًا تهبه لكل الناس وهي تُنشد أغنياتها... وهي مشغولة دائمًا بإسعادنا عبر صوتها المسافر دومًا في ينابيع الحب والحنان والفرح لحظة بزوغ الفجر العابق بالضوء والأمل.

أخيرًا كان لرعاية موهبة فيروز وتشجيعها، بالإضافة إلى وجود الحافز عندها دور مهمٌ في سطوع نجمها في عالم الموسيقى والغناء.



أيقونة القرن العشرين ..

بيكاسو في مواقفه السياسية



دور آشتــون
ترجمة: سارة القضاة *

لم نسمع، حتى يومنا هذا، إلا قليلاً عن مسيرة المعارضة التي خاضها بيكاسو في رحلته وصموده في زمن الوحشية والانسلاخ، فهجوم بيكاسو العظيم على البربرية، كما يصفه الكاتب "غيجز فان هينز بيرغن" في كتاب "جورنيكا"، كان أيقونة القرن العشرين.

وتحليلات هينز بيرغن بكل ما تحمله من أفكار، وبمصيرها النهائي في مدريد، تلتقي مع المنشورات السابقة لكل من: رودولف ارنيهيام، هيرستشيل بي تشيب، وفرانك دي رسل، التي تدرس التفاصيل الدقيقة في ظروف رسم اللوحات والقوة الخيالية الموجودة فيها، إلا أن هينز بيرغن يُركّز بصورة أقل على الميزة الفنية، ويغوص بصورة أكبر في الدور الذي لعبته هذه اللوحات كأثر فني عالميًا.

والحدث الذي طلى بيكاسو بالزنك كان الساعات الثلاث الحارقة التي قذفت فيها بلدة "باسك" في جورنيكا بالقنابل في العام ١٩٣٧ من قبل الطائرات الإيطالية والألمانية،

* مترجمة وناقدة موسيقية، تعمل صحافية- الأردن

في هجوم حوّل البلدة إلى كرة نار محترقة، وبعد أيام قليلة بدأ بيكاسو العمل على تدبيرات انتقامية شديدة الانفعال، وذلك كمدافع عن الحكومة الجمهورية الشرعية.

وقد عرضت لوحات بيكاسو البرجوازية إلى جانب أعمال كل من "ميرو" و "غونزاليز" إضافة إلى آخرين في الخيمة الاسبانية في معرض بباريس العام ١٩٣٧، وهينز بيرغن، الذي كتب سيرة حياة المعماري انتونيو غودي، يُوفّر للقارئ وصفا كاملاً ودقيقًا للتحضيرات المتقنة والصعبة لمعرض باريس الذي أقامته الحكومة الاسبانية المحاصرة، كما يعطي فكرة دقيقة عن ثقافة بيكاسو. فـ "جورنيكا" كانت وطنه، وأرضه الضائعة، وكومة من الرماد المحترق.

وفور انتهاء المعرض، بدأت لوحة "جورنيكا" رحلة مدهشة حول أوروبا كلها، وصولاً إلى البرازيل والولايات المتحدة، بهدف تنبيه







العالم على الكارثة التي ألمّت بالمدينة، ولجمع التبرعات لضحايا الفظائع التي ارتكبها "فرانكو".

وحين وصلت اللوحة إلى نيويورك أصبحت مركز اهتمام الفنانين الأميركان، الذين اعترفوا بأهمية بيكاسو بوصفه معلّمًا في الفن، وتزاحم الفنانون لرؤية معرض بيكاسو في غاليري مانهاتن، وعقدوا هناك حلقتي نقاش بحضور اللوحة.

ويستشهد هينز بيرغن في كتابه بكلام الفنانة دوريثا تابينغ التي وصفت ما قاله أحد أشهر فناني نيويورك (آرشيل غوركي) قائله: "كنا نستمع لشاب هزيل وقوي في آن واحد، يتحدث عن اللوحة، أعتقد أنه كان يتحدث عن النوايا والثورة، والعطف والمعاناة لدى الشعب الاسباني".

ودون شك ازدهرت في نيويورك حركة أطلقت على نفسها "الفن التجريدي" التي ألهمتها لوحة "جورنيكا" ويتحدث هينز بيرغن كثيرًا عن جاكسون بولوك؛ فرآه وريث بيكاسو.





وظل مصير "جورنيكا" مقترنا بمصير وصية بيكاسو، ففي مذكرات العائلة يتحدث حفيد بيكاسو، أوليفر ويدماير بيكاسو عن ورثة بيكاسو، وعن المعارك القضائية بينهم، ومواقفهم تجاه إسبانيا بعد ذهاب فرانكو، وكانت والدة أوليفر، آيا، اقترحت أن يُؤَجلوا انتقالهم لحين تأكدهم من أن إسبانيا أصبحت جمهورية مستقلة.



ويظهر بيكاسو الصغير بصورة الحفيد العبقري الذي يأخذ على عاتقه مهمة الحفاظ على مجد الرسام العظيم من خلال دحض العديد من محاولات الافتراءات خلال العشرين سنة الماضية، ومثل جدّه، نفر ويد ماير بيكاسو من الإشاعات، وكمحام متمرّس أدرك أهمية التوثيق، فسبر أغوار حياة جدّه المهنية، بعين حادة كجامع للحقائق.

ومن خلال التوثيق يظهر جليا موقف بيكاسو السياسي، كمعارض ومهتم بالقضايا الراديكالية، ففي الكتاب تظهر مقولة على لسان بيكاسو يقول فيها "أنا لست فرنسيا بل اسباني، وأنا ضد فرانكو والطريقة الوحيدة التي يمكن من خلالها أن أُوضّح موقفي هي من خلال الانضمام للحزب الشيوعي، ولكن مع إثبات أنني أنتمي للجهة الأخرى".



---

* عن صحيفة "ذا واشنطن بوست" الأميركية

عقدت دورتها الثالثة بالقاهرة

قافلة السينما العربية والأوروبية



ناجح حسن*

أنشأت إدارة الدورة الثالثة لقافلة السينما العربية والأوروبية التي نظمت حديثًا بالقاهرة بالتعاون مع برنامج يورو ميد السمعي البصري في المفوضية الأوروبية قسمًا خاصًا لعرض أفلام روائية وتسجيلية مصرية متنوعة بالمشاركة مع جمعية نقاد السينما المصرية بمناسبة الاحتفالات بمئوية السينما المصرية.

ومن جملة الأفلام الجديدة اللافتة التي حققها مخرجون شباب بميزانيات ضئيلة بأسلوبية كاميرا الديجيتال الرقمية برز فيلمًا: "منهم فيهم" لماجي مرجان، "جزر" لمحمد صلاح وكلاهما ينبش في ذاكرة زمنية ومكانية لشخصيات تعاني من الوحدة والألم والغربة رغم ما يحيطهم من أفراد وجماعات فقدوا الإحساس بالتواصل الإنساني ولا يجدون ملاذا سوى في طرح جملة من الأسئلة أمام الذات والوجدان وعكست مثل هذه التجارب ملامح مميزة لسينما مصرية قادمة من حيث السيناريو والحوار وطريقة المونتاج والعرض وزوايا التكوين والأبعاد الدرامية بلاغة القصيدة الشعرية المستقاة من تفاصيل الواقع.

افتتح المهرجان بالفيلم الأسباني "العودة" لمخرجه ذائع الصيت بيدرو المودفار صاحب العديد من الأفلام المتميزة، والذي ناقش فيه بجرأة جمالية وفكرية قضايا اجتماعية تتعلق بالمرأة وأنماط الحياة السائدة في بلد أوروبي مثل أسبانيا، مدعومًا بأسلوبية مبتكرة، وهو الفيلم الذي رُشح لجائزة أوسكار أفضل فيلم أجنبي. وفيه يقترب من أسلوبية المخرج الإيطالي فيدريكو فيلليني بقدرته على جذب المشاهد إلى التعاطف مع شخصيات تنتابها سلوكيات مغايرة لكنها محملة بأشواق وآمال طافحة في التمرد على واقعها الصعب القاسي في عالم مزجه المخرج بسحر الصورة الذي يتجاوز الواقع إلى منحى رمزي يفيض بالأسئلة والمواقف المعبرة عن أوجه العزلة والخواء الإنساني، والذي يصيب

* ناقد سينمائي له عدة مؤلفات - الأردن



بطلاته من النساء اللواتي يزدحم بهن الفيلم على خلفية ارتكاب إحداهن لجريمة قتل زوج طائش.

ومن السينما الأسبانية الجديدة حضرت أفلام: "ملحق" لرفائيل اسكولار عن الصدفة التي تجمع أنماطًا من البشر في لحظات حرجة. فهناك المرأة العجوز التي فقدت كل عائلتها والفتاة الفيتنامية الصغيرة التي جرى بيعها لفلاح أسباني، وهناك أيضًا رجل الشرطة الذي ما زال يبحث عن زوجة للاستقرار والذي فاته الزواج بسبب انهماكه بالعمل المتواصل ويلتقي أثناء رحلة في القطار بمندوب إحدى شركات التأمين وتأخذهما ذاكرة ليست بعيدة في تناول تفاصيل دقيقة من سلوكياتهما اليومية وعلاقاتهما المتباينة في حياة مليئة بالأحداث والتفاصيل التي تُلخّص أزمة مجتمع بأكمله.

وعن قصة مستمدة من وقائع حقيقية يتتبع المخرج الأسباني "اليخاندور أمينا بار" بفيلمه الأثير "البحر في داخلي" عذابات بطله الذي تعرض لحادث مأساوي أصابه بالشلل وأقعده الفراش حيث يطل من نافذة بيت ريفي على البحر. فهو لا يستطيع سوى تحريك رأسه ويسهر على الاعتناء بحالته زوجةُ شقيقه وأولاده الصغار، لكنه يظل يحلم دائمًا بالسفر والطيران فوق مياه البحر ويجول كطائر فوق مشاهد الطبيعة الخلابة لكنه لا يلبث أن يضع حدًا لحياته في ميتة كان قد اختارها بإرادته.

• ومن ايطاليا جاء فيلم "النمر والجليد" من توقيع المخرج ريرتو بينيني الذي يناقش فيه موضوعًا إنسانيًا وشاعريًا لافتًا بمواقفه الطريفة والذكية على خلفية من الحرب التي ما زالت تشتعل بالعراق وقصة ذلك الشاعر الإيطالي الذي يأخذ على عاتقه تتبع مصير زميله الشاعر العراقي الذي التقى به بالصدفة إبان وجود الأخير في إحدى الفعاليات الثقافية بالعاصمة الإيطالية، وأقام معه صداقة متينة، بيد أنهما انجرفا في أتون الحرب التي اندلعت عقب سقوط العاصمة العراقية في قبضة الاحتلال.

يرصد الفيلم بمتانة عالية تلك التفاصيل الدقيقة للشخصيات والأمكنة في بغداد اليوم ومعاناتها جراء الحرب التي تعصف بنسيجها الاجتماعي.. لكن الفيلم يسرد الكثير من المواقف الإنسانية التي لا تخلو من الدعابة والطرافة في أجواء ساخنة وحزينة وحالمة بالشعر والشعراء. إنه باختصار رحلة يائسة عن عالم مثالي في عالم معاصر شديد التعقيد بأحاسيس شاعرية .

• وفي قائمة عروض الأفلام الأوروبية الروائية الطويلة برز الفيلمان الألمانيان: "عنيف بشكل كامل"، "أبواب الجنة" الذي اختير للمشاركة في مهرجان برلين السينمائي الدولي الأخير وفيلم "رد الضربة" للثنائي مايكل ترايينيش وكاترينا كيكول عن أربعة شخصيات يقطنون في واحد من أسوأ الأحياء العشوائية في إفريقيا، وتحديدًا في حي على أطراف العاصمة الكينية نيروبي حيث يتفشى هناك مرض الإيدز بمصاحبة الفقر والعنف اليومي المعتاد ويصبح الحصول على لقمة الطعام مهمة نضال





وكفاح يومي لأسرة أغلبها من الأطفال.

• ومن المغرب شارك فيلم "يا له من عالم رائع" لفوزي بنسعيدي الذي تدور أحداثه في أجواء من الغرابة والمشاعر العفوية داخل مدينة قديمة تهيمن عليها التقنية الحديثة التي تسلب الإنسان الكثير من السمات والخصائص العفوية في رحلة البحث عن الحرية والسعادة.

• كان هناك أيضًا فيلم "بوابات السماء" للمخرجين المغربيين الشقيقين سول وعماد نوري عن مصائر ثلاث عائلات في الدار البيضاء تتنابها سلوكيات مغايرة على خلفية جريمة وانتقام وسجن ورعاية شخصيات عاجزة بحكم السن والمرض والعزلة والغربة.

• وتضمنت عروض السينما العربية أيضًا الفيلم التونسي "آخر الفيلم" لنوري بو زيد الذي قطف منذ أقل من عام الجائزة الكبرى لأيام قرطاج السينمائية العام ٢٠٠٦ عن ثلاث شخصيات يروون حكاياتهم. فهناك المخرج الذي تتوزع حياته بين أموره الخاصة المتشابكة، والفيلم الذي يُحضّر نفسه لإنجازه وصعوبة الحصول على التمويل اللازم، إضافة إلى ممثل شاب يتمرد على تعليمات المخرج أثناء تصوير المشاهد الختامية.

• ويعرض الفيلم الجزائري "لبلاد رقم واحد" للمخرج رابح أمير زاميش عن كمال الخارج للتو من السجن في فرنسا، ويجري ترحيله إلى مسقط رأسه بالجزائر وهو ما يجعله يقوم بإعادة اكتشاف وطنه الأصلي الذي يقاسي حالات من الانفصال بين التقاليد والموروث، والحداثة الجارفة على سائر مناحي الحياة.

حضر الاحتفالية التي تنظمها مجموعة "سمات" بالمشاركة مع المجموعة الأوروبية، مخرجون ومنتجون ونقاد وباحثون سينمائيون قادمون من بلدان عربية وأوروبية من بينهم مدير مهرجان سان سابستيان الأسباني خوسيه ماريا ريبا والمخرج اللبناني غسان سلهب الذي عرض له فيلم "أطلال" والناقد السينمائي اللبناني نديم جرجورة والناقد المغربي مصطفى المسناوي والمخرجة والمنتجة الدانماركية آن ماري السن والمنتجة سين برجي سيرنسين إضافة إلى كاتب هذه السطور.

ركزت الاحتفالية بشكل أساسي على الأفلام الروائية مع القليل من الأفلام التسجيلية بشقيها الطويل والقصير..

وبالفيلم الكلاسيكي الألماني "ماذا يحدث في سيرك بيلي" إنتاج العام ١٩٢٦ وإخراج هاري بيل اختتمت احتفالية الدورة الثالثة لأيام السينما العربية الأوروبية والتي استمرت لمدة أسبوع، واشتملت على عروض وتكريمات واحتفاءات متنوعة لسينمات مصرية وسورية ومغاربية وفرنسية وأسبانية وإيطالية وألمانية وبولندية إضافة إلى عروض لأفلام روائية وتسجيلية قصيرة مختلفة، وجميعها أنجزت في العامين الأخيرين في أكثر من دولة عربية وأوروبية، ونالت إعجاب قطاعات عريضة من الحضور واستحسان النقاد السينمائيين ومنحتها المهرجانات العالمية الكثير من الجوائز.





لُغات منقرضة

عزمي خميس

يقول دليل لُغات العالم: "الإثنولوغ": إن هناك أكثر من ٤٢٠ لغة من لغات العالم هي الآن شبه منقرضة، بمعنى أن من يتكلمونها هم حفنة من المسنّين الذين ما زالوا على قيد الحياة، وبموتهم ستموت تلك اللغات، كما ماتت أكثر من ١٥٠ لغة أصلية في استراليا على يد المستوطنين خلال مائتي عام، وكما ماتت أكثر من ٣٠٠ لغة كان يتكلمها السكان الأصليون في أمريكا الشمالية، وأكثر من ١٠٠ لغة كان يتكلمها سكان أمريكا الجنوبية.

وبموت هذه اللغات ماتت ثقافات وعلوم ومعارف ومعتقدات كانت تحفظها تلك اللغات منذ آلاف السنين.

ولا يظنن أحدٌ أن الشعوب القديمة أو المنقرضة التي كانت تتكلم تلك اللغات، كانت شعوبًا متخلفة، فالشواهد التي تركتها في بقايا آثارها في أمريكا الوسطى والجنوبية، وأفريقيا وآسيا، تدلُّ على أنها كانت على درجة من الرقي والتقدم العلمي ربما فاق ما نشهده اليوم.

أما في عصرنا الراهن هذا فإن هناك زحفًا شرسًا وشديدًا لثقافات ولغات بعينها، تُعززها قدرات وإنجازات علمية واقتصادية وعسكرية وصناعية هائلة ومتطورة لا يقف في وجهها أية حدود، ولا ينفع في وقفها أي سدٍّ، أو صدٍّ؛ فالعالم أصبح بقوة التكنولوجيا قرية واحدة بالفعل، بل بيتًا واحدًا يستطيع الساكن في أي غرفة فيه أن يرى ويسمع ما يدور في الغرف الأخرى.

الشعوب التي انقرضت، ولنقرضت لغاتها من المؤكد أنها كانت شعوبًا طيبة، لها معتقداتها، وعاداتها وأفكارها، ولها علومها المتميزة في الطب والهندسة والفلك وغيرها، ولها آدابها وفنونها أيضًا، والشعوب التي حلت محلها ربما لم تكن تملك غير قسوتها وشراستها وهمجيتها التي أتاحت لها إبادة تلك الشعوب ومحو آثارها.

زحف اللغات والثقافات الكبرى في العالم حاليًا يشكل خطرًا حقيقيًا على هويات الشعوب والأمم، وعلى حضاراتها، وتراثها الإنساني، واختفاء لغات وثقافات لحساب هيمنة لغات أو لغة محدّدة في العالم ليس خيرًا كما يعتقد البعض، فمن السمات الأساسية للحياة التنوّع والثراء، وهذا ما نشهده في عوالم الأحياء والكائنات التي لا تُحصى في البر والبحر، فكما أن التنوع البيولوجي هو أمر حيوي لصحة الأرض، فإن التنوع الثقافي واللغوي هو لخير البشرية.

لا أحد على ما نعتقد لديه وصفة سحرية تحمي اللغات والشعوب من الانقراض والاندثار.

وإذا كانت الشعوب التي انقرضت هي ولغاتها قد فُوجئت بالقوى التي أبادتها، فإن عصرنا الراهن لا ينطوي على أية مفاجأة، فالقوى التي تزحف على العالم بثقافاتها ولغاتها، قوى مكشوفة ومعروفة ومعلنة، وما على الشعوب والحضارات التي تحرص على وجودها وهوياتها وثقافاتها ولغاتها، إلاّ أن تبتدع الوسائل لمواجهة هذا الخطر، وعلى رأسها أمتنا، بتراثها العظيم الذي تحفظه لغتها العربية.